المملكة العربية السعودية

جامعة الملك عبد العزيز

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الدراسات الإسلامية

مؤتمر الجماعة والإمامة (المملكة العربية السعودية أنموذجاً)

المحور الخامس: الآثار المترتبة على الإخلال بالجماعة

د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي

أستاذ مشارك عقيدة ومذاهب معاصرة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – أما بعد

فإن الله – تعالى – قد بعث رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم بإذنه إلى صراط مستقيم، وقد قام – صلى الله عليه وسلم – برسالة ربه أتم قيام، وبلغَّها إلى الناس أحسن تبليغ، ونصح لأمته أبلغ نصيحة، ولم يتوف حتى أكمل الله سبحانه وتعالى به الدين كما قال الله - عز وجل - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ... ﴾ [المائدة: ٣] وحتى ترك أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، ومضى على ماكان عليه الرسول - عليه الصلاة والسلام - خير القرون، وهم الصحابة - رضي الله عنهم -، والتابعون لهم بإحسان، يوصي به الأول الآخر، ويقتدي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد – صلى الله عليه وسلم – مقتدون وعلى منهاجه سالكون، لم يؤثر عنهم أي افتراق في شيء من أمور العقيدة، بل كانوا جميعاً على منهج واحد، وسبيل واضح، هو ما تركهم عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ثم شاء الله – تعالى – أن تظهر الأهواء والبدع ومنها الغلو والإخلال بالجماعة، فأصبح الإخلال بها حقيقة تتجلى في الحاضر، ويُخطط لها في المستقبل، فلذا فإن مقاومة الإخلال بالجماعة ليست ترفاً فكرياً أو محاربة أوهام وخيالات، بل شرطاً لأمننا واستقرارنا، فبقاؤنا مرتبط ليس بقدرتنا على التناسل، بل على المقاومة والفعل وإثبات الذات وتقرير المصير، فإذا كان للإخلال بالجماعة مؤامرات وتهديدات، فإن لمقاومته مبررات وتأكيدات يحسن الوقوف عندها، ولعل هذه المبررات يمكن بلورتها في النقاط الآتية:

١. هذا الدين لا صلاح لنا إلا بنهجه ولا بقاء لنا إلا بهديه، من هنا لم تكن عفوية أن كثيراً من القوى تآلبت علينا تريد لديننا استئصالاً ولرايتنا انتكاساً فعلى قدر شرف الرسالة تكون شراسة الهجوم.

٢. العداء القديم بين الخير والشر، وهذا العداء قديم قدم البشر تجلى في صور مختلفة، وبأشكال متباينة، ومنها الغلو والإخلال بالجماعة.

٣. تنوع جوانب الهجوم: لم يقتصر الإخلال بالجماعة على جانب واحد من حياتنا بل شمل الاقتصاد والسياسة والتعليم والإعلام، باختصار شمل النقل والعقل، الدين والدنيا، وإذا كانت هذه هي طبيعة الهجوم، فينبغي أيضاً أن تكون طبيعة الدفاع لحماية الماضي والحاضر وتحصين المستقبل في غاية الأهمية.

٤. تعدد أشكال الهجوم: إذا كان الهجوم لم يقتصر على جانب واحد، فإنه أيضاً لم ينحصر في شكل واحد،فتارةً يأتي من الخارج، وتارةً من الداخل، وتارةً يهجم بأساليب مباشرة وتارةً بأساليب خفية، تارةً يتصدره رجال دين، وتارةً يقوده سياسيون، تارةً بالتهجم على مذهب أهل السنة والجماعة، وتارةً باصطناع مذاهب ونسبتها إلى الإسلام لتدميره من الداخل، عشرات من الأشكال، وعديد من الألوان تتحرك على جهات مختلفة ومستويات متنوعة لإذابة الشخصية الإسلامية، لهذا كله وزيادة توجب على الباحثين الكتابة والبحث والتنقيب في هذا الموضوع تجليه وإظهاراً له وبيان خطورة الإخلال بالجماعة ومن هنا كان موضوع البحث (الآثار المترتبة على الإخلال بالجماعة).

أسباب اختيار الموضوع:

١. لما كان للغلاة والخارجين عن الجماعة الإسلامية انتشار واسع مع انتساب بعضهم لأهل السنة والجماعة تحتم على الباحثين دراسة أفكارهم تجلية للحق واظهاراً له.

٢. بيان خطورة مذهب الغلاة والمتطرفين الخارجين عن أهل السنة والجماعة.

٣. اختلاط منهج الحق بالباطل لدى الغلاة الخارجين عن أهل السنة والجماعة.

٤. وقوع الانحراف عند كثير من الناس في باب الاعتقاد وتأثرهم بالمناهج المتشددة.

٥. إيضاح سيطرة الآراء البشرية على منهج الخارجين عن الجماعة.

٦. إن دراسة أفكار الغلو ومنابع الزيغ، أقطع لهذه المشكلة والقضاء عليها.

أهداف البحث:

أما هدف الدراسة فهو:-

١. التعرف على الغلاة الخارجين عن الجماعة وآثارهم الضارة على المجتمع.

٢. تسليط الأضواء على بعض أسباب الغلو وبيان بعض مظاهره.

٣. الإسهام في علاج الغلو عند الخارجين عن الجماعة.

منهج البحث: اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:

١. الاعتماد بعد التوكل على الله – تعالى- على المنهج الاستقرائي قدر الاستطاعة في جمع المادة العلمية مع المنهج الموضوعي لملائمته لمفردات البحث.

٢. إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، إذ المقصود معرفة صحته، أما إذا كان في غيرهما فقد اذكر أكثر من مصدر.

٣. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

٤. عزو الحديث يكون بالكتاب والباب والجزء والصفحة، أو رقم الحديث على حسب المصدر المنقول منه.

٥. القيام بشرح الألفاظ الغريبة.

٦. ذكر بيانات المصدر أو المرجع كاملة في فهرس المصادر والمراجع (اسم الكتاب – اسم المحقق أو المصحح أو المعلق أو المقدم إن وجد – دار النشر- بلد النشر- رقم الطبعة- تاريخ الطبعة) وإذا لم توجد جميع هذه المعلومات فالاكتفاء بما وجد.

٧. تذييل البحث بفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

خطوات البحث:

يقع البحث في مقدمة وأسباب اختيار الموضوع والهدف منه، ومبحثين، وخاتمة وفهرس.

المبحث الأول: تعريف الجماعة وخصائصها وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الجماعة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الضابط في الإخلال بالجماعة

المطلب الثالث: أهم خصائص أهل السنة والجماعة.

المطلب الرابع: النصوص الواردة في ذم الإخلال بالجماعة.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الإخلال بالجماعة وفيه أربعة عشر مطلباً:

المطلب الأول: الضلالة عن الهدى.

المطلب الثاني: التفرق والتشرذم.

المطلب الثالث: الاستدراك على الدين الإسلامي.

المطلب الرابع: التناقض.

المطلب الخامس: تشويه صورة العقيدة الإسلامية.

المطلب السادس: غياب الوسطية.

المطلب السابع: الوقوع في البدع.

المطلب الثامن: الانقطاع عن العمل الصالح.

المطلب التاسع: الضيق والخلل النفسي.

المطلب العاشر: البعد عن الله – تعالى – .

المطلب الحادي عشر: وقوع التشديد من الله – تعالى – .

المطلب الثاني عشر : تضييع الحقوق.

المطلب الثالث عشر: قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان.

المطلب الرابع عشر : الهلاك.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس للمصادر والموضوعات.

المبحث الأول: تعريف الجماعة وخصائصها:

المطلب الأول: تعريف الجماعة في اللغة والاصطلاح:

تعريف الجماعة لغة: من الاجتماع[١] وهو تأليف المتفرق، فالجماعة تعني الاجتماع و ضدها الفرقة، ثم أطلقت الكلمة على أنها اسم لطائفة من الناس يجمعهم غرض واحد.

الجماعة في الاصطلاح: إن كلمات أهل العلم فيها تدور على ستة معان:[٢]

١. السواد الأعظم من أهل الإسلام.[٣]
٢. جماعة العلماء المجتهدين.[٤]
٣. الصحابة على الخصوص.[٥]
٤. جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.
٥. جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.[٦]
٦. جماعة الحق و أهله.[٧]

وكل تلك المعاني التي ذكرها أهل العلم لا تعارض بينها. لأن بعض من قال بأحد تلك الأقوال، إذا أراد أن يفسر ما أختاره يفسره بقول يوافق قولاً آخر من الأقوال الستة، ومن ذلك البربهاري – يرحمه الله – فسر السواد الأعظم بقوله: (الحق وأهله)[٨] فالقول الأول يوافق القول السادس، وقال أيضاً: (والأساس الذي بيَّنَّا عليه الجماعة، هم أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – يرحمهم الله – أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، وهم السواد الأعظم،[٩] فعرف الجماعة: بالسواد الأعظم، وبأهل الحق وبالصحابة – رضي الله عنهم، و بأهل السنة والجماعة.

وبذلك يتضح أن المراد بالجماعة هم أهل الحق والاتباع للكتاب و السنة، فلذا يعرفهم السلف الصالح: بأنهم أهل السنة والجماعة تقيداً لهم عن غيرهم من أهل البدع، حيث إن السنة عند السلف: هي موافقة الكتاب والسنة والصحابة – رضي الله عنهم – سواء في أمور الاعتقادات أو العبادات، فالسنة عندهم تطلق و يراد بها عمل الصحابة – رضي الله عنهم

– ولا سيما عند الاتفاق، يقول الشاطبي – يرحمه الله - : (ويُطلق – أي لفظ السنة – أيضاً في مقابلة البدعة، فيقال: فلان على سنة، إذا عمل وفق ما عمل عليه النبي – صلى الله عليه و سلم – كان ذلك مما نصَ عليه الكتاب أولاً)(١٠) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله - : (لفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات والاعتقادات)(١١) وإن كان كثيراً من علماء السلف الصالح خصوا السنة بالاعتقادات،(١٢) فالسلف الصالح في العموم يقصدون بالسنة معنى زائداً على الحديث فإنهم يريدون بها موافقة الكتاب والسنة والصحابة – رضي الله عنهم – سواءً في أمور الاعتقادات، أو العبادات و غيرها، وبذلك يتضح أن معنى أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به أحد معنيين: معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام، عدا الرافضة، فيقال: هذا رافضي، وهذا سني، وهذا اصطلاح العامة فهم لا يعرفون ضد السني إلا الرافضي(١٣) ومعنى أخص وأضيق من المعنى العام ويراد به أهل السنة المحضةالخالصة من البدع، ويخرج به سائر أهل الأهواء و البدع الذين خالفوا السلف الصالح كالخوارج،(١٤) والجهمية،(١٥) والمرجئة،(١٦) والشيعة،(١٧) وغيرهم من أهل البدع، وهذا ما وضحه شيخ الإسلام – يرحمه الله – بقوله: (وأهل السنة والجماعة بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه و سلم – وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان)(١٨) ويقول أيضاً: (أهل السنة والجماعة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله – تعالى – ويقول: القرآن غير مخلوق، وإن الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة)(١٩) وبذلك يتضح من قوله – يرحمه الله – إن من خالف شيئاً من ذلك عُد من أصحاب البدع ولم يكن سنياً.(٢٠)

ومما تقدم يمكن أن يُقال قول جامع: وهو أن أهل السنة والجماعة، أو الفرقة الناجية هم الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيكون مدار التعريف على أنها أهل الحق وأهله(٢١)، وهناك أسماء وألقاب أخرى تُطلق على أهل السنة والجماعة، منها ما هو حق مرضي عندهم عُرفوا به، كما عُرفوا بأهل السنة، ومنها ألقاب تنبزهم بها خصومهم من أهل البدع والأهواء، وهم منها براء، والقصد من ذكرها أن يُعرف أن أهل السنة والجماعة هم المقصودون بها، إن ورد لقب من هذه الألقاب في كتاب من كتب الفرق و المقالات وغيرهما، لأن خصومهم لا يذكرونهم: (بأهل السنة) أو غيره من الأسماء المرضية عندهم إلا نادراً، وإنما يذكرونهم بهذه الألقاب التي ينبزونهم بها تنفيراً من إتباعهم، ومن الأسماء المحببة عند أهل السنة وهي مرضية عندهم: أهل الجماعة(٢٢)، السلفية(٢٣)، أهل الحديث(٢٤)، أهل الأثر(٢٥)، الفرقة الناجية(٢٦)، الطائفة المنصورة(٢٧)، أما ألقاب أهل السنة والجماعة عند خصومهم من أهل البدع فهي: المشبهة(٢٨)، والنابتة أو النوابت، والمجبرة، وتنبزهم بهذه الألقاب المعتزلة والزنادقة وسائر أهل الكلام والخوارج، والمجبرة أو الجبرية وتنبزهم بها القدرية، والناصبة أو النواصب، والعامة، والجمهور،

والمشبهة، والحشوية وتنبزهم بها الرافضة، و المشبهة، والمجسمة، والحشوية، والغثاء، والعثراء، وتنبزهم بها الأشاعرة والماتريدية، ومن الألقاب التي يطلقها أهل الأهواء والبدع على أهل السنة والجماعة زوامل أسفار، وبهذا يتضح أن أهل الانحراف قد يتفقون وقد يختلفون في إطلاقهم في بعض الألقاب الباطلة على أهل السنة والجماعة والهدف بينهم مشترك(٢٩) فأما إطلاقهم عليهم مشبهة لإثباتهم الأسماء والصفات لله – تعالى –، وأما زعمهم أن أهل السنة والجماعة نقصانية لقولهم إن الإيمان يزيد وينقص، وأما تسميتهم لهم مخالفة، لمخالفة أهل السنة والجماعة لأهل الأهواء والبدع،وأما تسميتهم لهم بالشكاك لتجويز أهل السنة والجماعة الاستثناء في الإيمان، وأما نبزهم بالحشوية فهو بمعنى أنهم حشو الناس أي لا قيمة لهم، أو بمعنى أنهم يروون الأحاديث ولا يميزون بين صحيحها و سقيمها، وأما نبزهم لأهل السنة بالنوابت: أي أنهم نوابت شر نبتوا في الإسلام مبتدعين فيه مغيرين له بزعمهم، وأما نبزهم أهل السنة والجماعة بأنهم جبرية أو قدرية لأنهم يقولون: إن أفعال العباد تنسب إليهم حقيقة وتكون بمشيئته التي لا تخرج عن إطارها العام عن مشيئة الله – تعالى – لها وخلقه لها كوناً ولو شاء الله لما تمكن العبد من أي فعل فالله هو الخالق الحقيقي لها، و العبد هو الفاعل الحقيقي لها بتمكين الله له مع ملاحظة الفرق بين مشيئة الله الكونية والشرعية، وأما نبزهم بالنواصب لزعمهم أن أهل السنة والجماعة يناصبون العداء لآل البيت، وأما نبزهم بالعامة والجمهور لقصد التقليل بهم، وزعمهم (أي أهل الأهواء والبدع) بأنهم هم أهل الخاصة وأهل الحق، وأما نبزهم بالمشبهة والمجسمة والحشوية لإثباتهم صفات الله – تعالى –كما جاءت في الكتاب والسنة، وأما نبزهم بأنهم غثاء أو غثراء فهو بمعنى أن أهل السنة والجماعة كالغثاء الذي يحمله السيل عند انحداره، ويريدون بذلك أنهم سفلة الناس وأراذلهم كزبد السيل: أي لا خير فيهم و لا نفع، وأما نبزهم بزوامل أسفار تشبيهاً لهم بالجمال التي يُحمل عليها، أو أنهم أصحاب أقاصيص وحكايات وأخبار لا قيمة لها، وكل هذه الأوصاف هم منها براء، والصحيح أن أهل الأهواء و البدع هم من يتصفون بتلك الصفات كما يقول الشاعر:

إذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني فاضل(٣٠)

المطلب الثاني: الضابط في الإخلال بالجماعة:

إن الضابط في الإخلال بالجماعة يحكم بالمفارقة على كل من خرج عن سبيل أهل السنة والجماعة في أصل مما عدوه من أصول الدين، أو قاعدة من قواعده، أو خالف في فروع كثيرة وجزئيات متعددة مخرجة عن سمة أهل السنة والجماعة وهديهم، كبدع الشعائر والعبادات إذا أكثرت(٣١) وهذا ما وضحه شيخ الإسلام – يرحمه الله – من جعل العادة التي يتقرب بها

إلى الله – تعالى – بدعة كاتخاذ لبس الصوف عبادة وطريقاً إلى الله، فالإخلال بالجماعة لا يتم إلا عن طريق الافتراق، فلذا لا بد من تعريفه في اللغة والاصطلاح ومتى يكون العبد مفارقاً ومخلاً بالجماعة.

الافتراق في اللغة: خلاف الجماعة والاجتماع والجمع، يقول الله – تعالى – ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] أي بعد الاجتماع، فالافتراق نقيض الاجتماع[٣٣] ومنه قول الرسول –عليه الصلاة والسلام–: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)[٣٤] أي عن مجلسهما فينفصل أحدهما عن الآخر، والافتراق: الانقسام و الفرق: الفلق، والفلق من الشي إذا انفلق منه، ومنه قول الله – تعالى – ﴿كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء: ٣٦]، والمفارقة: المبيانة، وفارق الشي مفارقة وفراقاَ : باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، والفرقة : الطائفة من الناس، والفريق أكثر منه،وفرق: جمع فرقة، والفراق : التفريق بين الشيئين والفصل بينهما، والتفريق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان، والافتراق في الكلام، يقال :فرَقت بين الكلامين فافترقا، وفرَقت بين الرجلين فافترقا، والتفرق والتفرقة : التبديد والتمزيق، يقال: فرقه تفريقاً وتفرقة، أي بدده،وفي الجملة: أن الافتراق في اللغة يدور حول معاني المفارقة، الانقطاع، التفرق، المفاصلة، الانفصال، الشذوذ، المباينة، الانقسام والتيه والضياع، الضلال، المقاطعة، التشعب، الخروج عن الجادة وعن الأصل وعن الأكثر وعن الجماعة، والتغيير.

والافتراق في الاصطلاح: يطلق الافتراق في الاصطلاح على أمور منها :–

١. التفرق في الدين والاختلاف فيه[٣٦] وفي ذلك قول الله – تعالى – ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا) [آل عمران :١٠٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]،وفي ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: (إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب)[٣٧].

٢. الافتراق عن جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والصحابة وهم أهل السنة، ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق، فمن خالف سبيلهم في أمر [٣٨] يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد، أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق، وفيه قوله – عليه الصلاة والسلام –: (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمَّية يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية فليس من أمتي) [٣٩] فذكر – عليه الصلاة و السلام – أصنافاً من المعارضين الخارجين : المفارقينن للجماعة والخارجين عن الطاعة، والخارجين عن الأمة بالسيف، والمقاتلين تحت راية عمَّية [٤٠] وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية، والفتنة، والقوميات، والشعارات، والحزبيات ونحوها، فالخروج عن أهل

السنة و الجماعة ولو في أصل من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاًفإنه يعتبر تفرقاً، فالضابط في الافتراق أنه يؤدي إلى الفتن، والتفرق، والقتال، والبغي، والبدع وبذلك يتضح أن أهل الافتراق هم أهل الأهواء والبدع، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: (والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة)[٤١] ويقول أيضاً: (وإنما المقصود هنا التنبيه على وجه تلازمهما: موالاة المفترقين، وإن كان كلاهما فيه بدعة وفرقة)[٤٣] وبذلك نخلص إلى أن من ضوابط الفرقة والإخلال بالجماعة: أن كل من خالف الصراط المستقيم وجماعة المسلمين في المنهج والسلوك، فهو مفارق وعمله فرقة[٤٣]، وصراطه المستقيم المراد به: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، وأن كل مفارق للحق مجانب للصراط المستقيم[٤٤] فهو مفرق لجماعة المسلمين، يقول الله –تعالى–:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٩] ومن ضوابط الافتراق: أن تكون هذه المخالفة وهذا الخروج في أصل من الأصول الاعتقادية أو العملية، أو في بعض قواعد الدين الكلية، لا في جزء من الجزئيات ولا في المسائل الفرعية، ولذلك كان من سمات الافتراق والإخلال بالجماعة: ما يقع فيه أهلها من فرقة وما يلقى بينهم من عداوة وبغضاء تؤدي بهم إلى تضليل وتفسيق أو تكفير من خالفهم، وتحكيم أقوال الرجال والتحاكم إليها وتصويبها بإطلاق، وتخطئة من عداها، و ما ينتج من ذلك عن عداوة وبغضاء وفرقة، وشق عصا الطاعة والخروج على الإمام ليس بالقول والجدال والخصومات في الدين بل القتال بالسيف، ومفارقة جماعة المسلمين والاعتزال عنهم منابذة ومعادة، والخروج على الأمة بالسيف، فهذا كله من الفرقة والإخلال بالجماعة، ويعتبر صاحبه مفارقاً لقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –:(من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمِّية يغضب لعصبية أو يدعو ألى عصبية فقتل فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)[٤٥] فذكر الرسول – عليه الصلاة والسلام – أربع حالات للفرقة هي: أولاً: الخروج عن طاعة الإمام وولي الأمر، ومعاداته بالسيف فهذا العمل فرقة وصاحبه مفارق متوعد على فعله،يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[٤٦]، ثانياً: مفارقة الجماعة، والعمل على تفريق الجماعة، فكل مفارق للجماعة هو مفرق لها، ويكون ذلك بتفريق كلمتهم بإشهار السيف عليهم، وإعلان القتال، ويدخل حينئذ في الخروج عن السلطان أو تفريق الجماعة بإثارة الخصومات والجدال في الدين، وإثارة مواطن الخلافات وتصعيدها لندب الفرقة بين صفوف الجماعة، ثالثاً: القتال تحت راية عمِّية، وهو الأمر الأعمى الذي لا

يستبين وجهه مثل تقاتل القوم للعصبية،[٤٧] و الأنساب والرئاسة، رابعاً: الخروج على الأمة بالسيف واستحلال الدماء والأموال دون تفريق بين مؤمن أو كافر، أو فاجر، ذمي معاهد أو محارب.

المطلب الثالث: أهم خصائص أهل السنة والجماعة:

اختص أهل السنة والجماعة بعدد من الخواص منها:-

أولاً: تقديم الشرع على العقل:

إن أهل السنة والجماعة يقدمون الشرع على العقل،ويعتقدون أن العقل الصريح لا يعارض النص الصحيح، بل هو موافق له، حيث إن الدين الإسلامي حثنا على عدم الخوض في المسائل العقدية وخاصة الغيبة التي لا مجال للعقل فيها، فجعل للعقل حداً لا يتجاوزه، فمثلاً عند المرور بآيات الصفات لله – عز وجل – يكون استعمال العقل هنا هو محاولة استحضار عظمة المتصف بهذه الصفات، والتجاوز هو محاولة معرفة كيفية هذه الصفة مما ينتج عنها تشبيه لله بخلقه، أو تعطيل ذلك بحجة أن ذلك يعني التشبيه، وأما الفلاسفة ومن تبعهم من المتكلمين فإنهم يعملون عقولهم في هذا التجاوز، فضلوا عن الطريق الصحيح فأصبحوا بين محرف لها أو منكر لها بالكلية والسبب هو جعل العقل وحده هو الحكم فيما لا يمكن إدراكه مع فصله عن الوحي فحصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن المنهج القويم، ويتبع ذلك التكذيب بمسائل عظيمة من أمور العقيدة، فتقديمهم العقل جعلهم يشعرون بالتعارض والتناقض بين النقل والعقل، أما الدين الإسلامي جعل العقل الصريح موافقاً للنقل الصحيح لا يخالفه قط، فالرسل – صلوات الله وسلامه عليهم- تخبر بمحيرات العقول، ولا تخبر بمحالات العقول،[٤٨] فعند توهم التعارض فالدين الإسلامي يقدم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله - : (فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواءً علمنا بعقولنا أم لم نعلمه، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه، وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به...ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً)[٤٩] فظهر توسط الدين الإسلامي في موقفه بين النقل والعقل، وظهر الاختلال عند من يقدم العقل على الوحي في الوقت الحاضر كالعلمانيين والليبراليين والحداثيين وأهل التنوير، وظهر الموقف الحق لأهل السنة و الجماعة الذين تمسكوا بالوسطية التي جاء بها الدين الإسلامي.

ثانياً: رفض التأويل الكلامي:

إن أهل السنة والجماعة لم يتلوثوا بشيء من أوضار الفرق الضالة وأدناسها، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين وهدي بين ضلالتين[٥٠] لذا فإن أهل السنة والجماعة يرفضون التأويل المذموم[٥١] الذي هو في حقيقته صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتماله المرجوح، أما أهل الأهواء والبدع والافتراق فإنهم يقومون بتأويل النصوص من القرآن والسنة ويصرفونها عن معانيها

الحقيقة بتأويلات فاسدة ليست من منهج السلف الصالح، فوضعوا لأنفسهم منهجاً يسيرون عليه، وهو في الحقيقة تحريف للنصوص عن ظاهرها و تحميلها ما لا تُحمل وذلك من القواعد الأساسية عندهم:-

وكل نص أوهم التشبيها — أول أو فَوِّض ورم تنزيها[٥٢]

ولذا نجد أن أهل السنة والجماعة لا يقعون في الأخطاء بعكس أهل البدع والأهواء والافتراق يقول ابن رجب – يرحمه الله:- (فأما الدخول على ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيٌء من ذلك إلا وتلطخ في بعض أوضارهم [٥٣] كما قال أحمد: (لا يخلو من نظر في الكلام أن يتجهم، وكان هو وأئمة السلف يحذرون من أهل الكلام)[٥٤]

ثالثاً: طلب العلم بالمطالب الإلهية عن طريق الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة:

إن أهل السنة والجماعة يعتمدون على تفسير القرآن والسنة المأثورة من أقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأقوال الصحابة – رضي الله عنهم – أجمعين، لأنهم عاشروا التنزيل وفهموه، وعنهم أخذ التابعون بإحسان،فهم يسيرون على هذا المنهج القويم، ويبتعدون عن الضلال المبين، لعلمهم أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[٥٥] والمحجة البيضاء تتضح بتفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين لهم بإحسان كما شهد لهم الله – عز وجل – والرسول – عليه الصلاة والسلام – فقال الله – تعالى – ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] وقال الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه)، وفي رواية: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن)[٥٦] فوضح الحديث أفضلية السابقين على اللاحقين، والمتقدمين على المتأخرين، فلذلك عض أهل السنة والجماعة بالنواجذ على أقوالهم، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله – : (مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف...فأنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم – صلى الله عليه وسلم – ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة)[٥٧].

رابعاً: الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله فيؤمنون بجميع النصوص الواردة في القرآن والسنة:

إن أهل السنة والجماعة يقومون بتحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا الاعتقاد والاعتصام بهما، وحصر التلقي في أحكام الدين فيهما، وأن لا يردا ولا يعارضا بشيء من التأويل أو القياس أو الرأي أو العقل.[٥٨] متمسكين بقول الله – تعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩] لذا فإن أهل السنة والجماعة لا ينفكون

عن قول الرسول – عليه الصلاة والسلام - : (إن خير الحديث كتاب الله وإن خير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)(٥٩) فهم رضوان الله عليهم يتبعون ولا يبتدعون، فكانوا من الناجين من الضلالات والخرافات لاعتمادهم على مصادر الوحي اليقيني لا على الهوى والظن والتأويل الفاسد، أو القياس والعقل، فهم يحتجون بالقرآن والسنة والإجماع المبني عليهما، بخلاف أهل الأهواء والبدع الخارجين عنهم، ومن خصائصهم الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، ومجانبة من خالف سبيلهم، والتوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المفرطين والمقَّرطين، والحرص على جمع كلمة المسلمين، وإبعاد كل أسباب النزاع بينهم، فلذا لا يتميزون على الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة، ولا يوالون ولا يعادون على رابطة سوى الإسلام والسنة(٦٠) والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وإحياء السنة، والقضاء على البدع والمحدثات، والإنصاف والعدل فهم يراعون حق الله – تعالى – لا حق النفس أو الطائفة، والتوافق في الأحكام والتشابه في المواقف رغم تباعد الأقطار والأزمان، والإحسان والرحمة مع حسن الخلق، والنصيحة لله وكتابه ورسوله – عليه الصلاة والسلام – ولأئمة المسلمين وعامتهم، والاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم وأداء حقوقهم وكف الأذى عنهم، وهناك خصائص متعددة لهم.

المطلب الرابع: النصوص الواردة في ذم الافتراق:

إن الله – تعالى – قد اخبرنا عن اختلاف الأمم الماضية قبلنا، وأنهم تفرقوا واختلفوا فتفرقت بهم الطرق حتى صار بهم الافتراق إلى الافتراء على الله – عز وجل – والكذب عليه، والتحريف لكتابه، والتعطيل لأحكامه، والتعدي لحدوده، وكل ذلك جميعه قد قصه الله – عز وجل – علينا وأوعز فيه إلينا وحذرنا من مواقعته، وخوفنا من ملابسته، ومن الآيات التي وردت في النهي عن الافتراق والتحذير منه(٦١) قول الله – تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام :١٥٣](٦٣) والصراط المستقيم هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها والسبل هي الأهواء والفرق والبدع من المحدثات، وهذا تحذير وإخبار ووصف لسبل الضلالة والغواية، فعلى المسلم أن يتجنبها ويتبع طريق الحق المبين، قال الله – تعالى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨] فنهى الله –تعالى– نبيه –عليه الصلاة والسلام– في هذه الآية الكريمة عن مجالسة الخائضين في آياته وبين أن من جالسهم في وقت خوضهم فيها فهو مثلهم في الإثم لقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وتبين أن من جالسهم ناسياً ثم تذكر فإنه يجب عليه مفارقتهم بقوله: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] فإذا كان مجالسة من يخوض في آيات الله ومن يجالسهم كفر، فما بالك بمن يحرف ويؤول ويجعل الحق باطلاً

والباطل حقاً؟ والسنة بدعة والبدعة سنة؟ وهذا ما جاء في قول الله — تعالى —: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة:٦٩] فوضحت الآية فساد عملهم وخسرانهم الواضح في الدنيا والآخرة لخوضهم في الأمور التي يجب عليهم أن لا يخوضوا فيها[٦٣] ويقول الله – تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ومعنى كانوا شيعاً[٦٤]:(أي كانوا متفرقين في دينهم، ويراد به اليهود والنصارى لأن النصارى بعضها يكفر بعضاً، وكذلك اليهود يكفر بعضهم بعضا، وبعضهم يكفر بعضا (أي اليهود تكفر النصارى، والنصارى تكفر اليهود) ، ففي هذه الآية حث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين، وأن لا يبتدعوا البدع، وأما قوله: (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) يدل على أن من فرق دينه من أهل ملة الإسلام وابتدع البدع فقد صار منهم[٦٥] وعليه ما على السابقين من العذاب، وهذا نفسه ما جاء في قول الله — تعالى —: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فقد توعد الله — تعالى— المفترقين المختلفين بالعذاب العظيم، ويقول الله — تعالى —: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ٩٣] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [الشورى:١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٤-٥] ففي هذه الآيات نبأ قوم فضلهم الله وعلَمهم، وبصرهم ورفعهم ومنع ذلك آخرين إصرارهم على البغي عليهم والحسد لهم إلى مخالفتهم وعداوتهم ومحاربتهم فاسننكفوا أن يكونوا لأهل الحق تابعين، وبأهل العلم مقتدين، فصاروا أئمة مضلين ورؤساء في الإلحاد متبوعين، رجوعاً عن الحق وطلباً للرئاسة وحباً للإتباع والاعتقاد، فلم يقتصر الشارع على ذكر الآيات التي عاب فيها المختلفين وذم بها العابثين[٦٦] بل حذرنا الله — تعالى — من الفرقة والاختلاف وأمرنا بلزوم الجماعة والإئتلاف فقال – سبحانه وتعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: ١٣] وقال الله — تعالى —: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢] فهل يبقى بعد ذلك من هذا البرهان أشفى من هذا

البيان؟ وقد أعلمنا أنه قد خلق خلقاً للاختلاف والتفرق، وحذرنا أن نكون مثلهم واستثنى أهل رحمته لنواظب على طاعته وأوامره فقال – سبحانه وتعالى –: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] ونحو هذا في القرآن الكريم كثير يأمر الله – تعالى – المؤمنين بالجماعة، وينهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأما نصوص السنة الدالة على الاجتماع وعدم التفرق فقد بلغت التواتر[٦٧] فالنبي – عليه الصلاة والسلام – لم يدع شيئاً من الخير إلا دل الأمة عليه،ونهاها عن سلوك الغواية والضلال والبدع والتفرق، وأخبر بوقوع الافتراق، وإتباع سنن الأمم الهالكة من قبل طوائف من هذه الأمة حتى لا يبقى على السنة إلا طائفة واحدة، وأنذر من سلك سبيل أهل الأهواء والافتراق، ومن هذه الإرشادات والتحذيرات: قول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[٦٨] وقوله: (من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد أن يفرق جماعتكم فأضربوا عنقه بالسيف كائن من كان)[٦٩] وقوله (أنا فرطكم على الحوض[٧٠] ليُرفَعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربي أصحابي؟ يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك) وفي رواية (فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)[٧١] فالرسول – عليه الصلاة والسلام – يتوعد من بدل وأحدث في الدين ما ليس منه، والافتراق عن الجماعة من أخطر أنواع التبديل والإحداث في الدين، وأخبرنا الرسول – عليه الصلاة والسلام – بمشابهة الأمم السابقة وذم من يفعل ذلك فقال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة[٧٢] بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن)[٧٣]:وقال – عليه الصلاة والسلام: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يارسول الله فارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا ألئك)[٧٤] فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم وقد نهانا – صلى الله عليه وسلم – عن التشبه بهولاء وهولاء، وليس هذا إخبار عن جميع الأمة، بل تواتر عنه – صلى الله عليه وسلم –[٧٥] أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، ومنها قوله – عليه الصلاة والسلام –: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[٧٦] وأخبر بقوله: (إن الله لا يجمع أمتي) وفي رواية: (أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار)[٧٧] وهذا ما حث حذيفة – رضي الله عنه– فقال – عليه الصلاة والسلام –: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت يا رسول الله: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[٧٨] وهذا ما وضحه ايضاً – عليه الصلاة والسلام – بقوله: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع به شغف[٧٩] الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)[٨٠] ويقول حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه –: (كان الناس يسألون الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الخير وكنت أسأله عن الشر

مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: (إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فقلت وهل بعد هذا الشر من خير؟قال: نعم وفيه دخن[٨١] قلت وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى، تعرف منهم وتنكر، قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال:(نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يارسول الله صفهم لنا، قال:(هم من جلدتنا يتكلمون بألستنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال:(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[٨٢] وفي رواية مسلم: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قلت: كيف أصنع يارسول الله إن أدركني ذلك؟قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع)[٨٣] ومن هنا يظهر خطأ قول الاختلاف يُراعي إذ هو الأحوط، فليس ذلك في المسائل التي عُلم فيها القول الصواب الذي قام معه الدليل الذي تجب متابعته، فهذه لا عبرة بقول المخالف فيها، وقد نبه العلماء – يرحمهم الله – على ذلك من خلال الشروط التي ذكروها في الخلاف الذي يُراعي وهي الشروط الآتية: أن لا يخالف نصاً جلياً أو إجماعاً، أو قياساً صحيحاً، وأن يقوى مدركه، بحيث لا يعد هفوة، وأن لا توقع مراعاته في خلاف آخر، ويكون الجمع بين الأقوال ممكناً، أما إذا جرت مراعاة الخلاف إلى ترك ما ترجح من الأدلة، فلا مراعاة للخلاف هنا.[٨٤]

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الإخلال بالجماعة وفيه أربعة عشر مطلباً:

المطلب الأول: الضلالة عن الهدى

لا خيار للمؤمن إلا في امتثال أمر الله وأمر رسوله – عليه الصلاة والسلام – سواء ظهرت له الأثار المترتبة على فعل المأمور به أو لم تظهر، يقول الله – تعالى – ﴿ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦) ولما كان شأن لزوم الجماعة عظيماًوخطر الخروج عن الطاعة جسيماً جاءت الآثار المترتبة على لزومها كثيرة وعظيمة، والآثار المترتبة على الخروج عنها خطيرة وجسيمة، فمن تلك الأثار ما جاء عن الرسول – عليه الصلاة والسلام–: (يد الله مع الجماعة)[٨٥] يقول ابن الأثير – يرحمه الله – : (أي أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في كنف الله ووقايته فوقهم وهم بعيدون عن الأذى والخوف، فأقيموا بين ظهرانيهم)[٨٦] ومن آثار تلك الرعاية الإلهية للجماعة عصمتها من الضلالة التي هي سبب كل شر وبلاء، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (إن الله لا يجمع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على ضلالة)[٨٧] ولذا نجد أن المفارقين للجماعة يقعون في الضلال بسبب بعدهم عن الجماعة، ثم يقومون بتكفير من يخالفهم، ولا يعتمدون إلى دليل صريح،ولا إلى فهم صحيح، وإنما يتبعون أهواءهم، والله سبحانه وتعالى قد حذر من اتباع الهوى فقال: (وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى) [ص:٢٦] فالشيطان بكيده ومكره قد لبس على كثير من المفارقين للجماعة أمرهم وأوقعهم في الضلالة وزين لهم الباطل، وكره

لهم الحق مما حمل البعض على التكفير بغير حق مما جعلهم يتحملون ظلم العباد بسفك دمائهم و الأعتداء عليهم بغير حق، يقول علي – رضي الله عنه – بعد قتله للخوارج: (بؤساً لكم قد ضركم من غركم، فقالوا يا أمير المؤمنين ومن غرهم؟ قال: (الشيطان وأنفس بالسوء أمارة غرتهم الأماني)[٨٨] يقول ابن الجوزي –يرحمه الله– عن الخوارج: (وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتلبيسه على هولاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن علي بن أبي طالب على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب،واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا آكل تمره بغير ثمنها)[٨٩] وهذه الأمور نفسها ما يعتقدها الخارجون عن الجماعة، فإنهم يشقون عصا المسلمين ويخالفون الأثار، ويموتون ميتة جاهلية، يقول الآجري عن الخوارج – يرحمه الله –: (الخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة ويستحلون قتل المسلمين)[٩٠] ويقول شيخ الإسلام – يرحمه الله–: (لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة سيئة وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي – عليه الصلاة والسلام – حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: أعدل فإنك لم تعدل، حتى قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ويلك من يعدل إذا لم أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أعدل)[٩١] إلى قوله – يرحمه الله – :(الثاني في الخوارج وأهل البدع أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأن دار أهل الإسلام دار حرب وأن دارهم دار الإيمان)[٩٢] وقال الحافظ ابن حجر –يرحمه الله–: (الخوارج الذين أنكروا على علي – رضي الله عنه – التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة)[٩٣] وقال أيضاً: (أما الخوارج فهم جماعة خارجة أي طائفة وهم قوم مبتدعة سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين)[٩٤] ويتضح من النصوص السابقة أن الخارجين عن الجماعة يقومون بشق عصا المسلمين، ويستبيحون دماء المسلمين، ويرفعون السيف عليهم، ويخرجون على المسلمين بعقائد فاسدة وهي تكفير المسلمين بغير حق والطعن في خيار الأئمة،يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم إلى يوم القيامة)[٩٥] فالخوارج يجمعهم الخروج على الولاة واعتبار ذلك ديناً حتى ولو لم يكفروا مرتكب الكبيرة، وضابط بدعة الخوارج المذموم هو التكفير بما ليس مكفراً واستحلال الخروج على ولي الأمر واستباحة دماء المسلمين[٩٦] وهذه الأشياء جميعها يقوم بها الخارجون عن الجماعة فيقعون في الضلال ويبتعدون عن الهدى.

المطلب الثاني: التفرق والتشرذم:

غالب ما يحصل مع الاتجاهات المنحرفة أنها في هيكلها وبنيتها الجسمية تنشأ في أول أمرها فرادى ومثاني وثلاث، كأي تجمعات صغيرة مبعثرة، وقد تكون عشوائية وعفوية، ثم تبدأ طبيعة الفكر المنحرف بالضغط على أصحابه ليشكلوا لهم بيئة مجتمعية تميزهم عن غيرهم، وهي تتخذ أشكالاً مختلفة فقد تكون تنظيمات سرية، وقد تكون عزلة اجتماعية أو دولة سلطوية كما يشهد بذلك واقع الجماعات الخارجة عن أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، فالخوارج المتطرفون عارضوا علياً – رضي الله عنه – ابتداءً ولما قارب الكوفة اعتزلوا جيشه ثم أبوا أن يساكنوه في بلده[٩٧] ثم نزلوا بمكان خاص بهم يقال له حروراء[٩٨]، يقول ابن حجر – يرحمه الله – :(وخرجوا شيئاً بعد شيء إلى أن اجتمعوا في المدائن)[٩٩] ويقول الشهرستاني – يرحمه الله –: (وتخطوا عن التخطئة إلى التكفير)[١٠٠] ويوضح ابن كثير – يرحمه الله – هذا النوع من التطور في تكوين التجمعات بكل أشكالها الممكنة فيقول: (هولاء الجهلة الضلال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤا على السير إلى المدائن ليملكوها على الناس، ويتحصنوا بها وبعثوا إلى أخوانهم وأضرابهم ممن هو على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، ولكن واعدوا إخوانكم ولا تخرجوا جماعات ولكن وحداناً، فكتبوا إلى من هو على مسلكهم، ليكونوا يداً واحدة على الناس يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات...واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة)[١٠١] ولهم أمراؤهم وقياداتهم، وهذا يوضح مكمن الخطورة المجتمعية للفكر المنحرف حيث ينعزل مجتمعياً ويكّون لنفسه وطناً خاصاً به، ويعين الأمراء بما يتماشى مع طبيعه فكره، وكل ذلك له أثره البليغ على كيان المجتمع المسلم حيث إنهم يمثلون تياراً دينياً متطرفاً يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهي من وجهة نظرهم ليست إلا فساداً في الأخلاق، وتفككاً في الأسرة، وجموداً في العلاقات الاجتماعية، فهم يرون أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبياً لرغباتها، متنكراً للآداب والفضيلة، ولذا كل جانب يرفض فكر الآخر ويقاومه،وينظر إليه نظرة ريب وشك دون تمحيص وتقويم، ليصل إلى الحق والمبادئ الأساسية فيها ليقارنها بما عنده من أصول ومبادئ يمكن أن تكون عاملاً مشتركاً يجمع بينها ويكون فيه الخير لكل التيارين، وبذلك يحصل التفرق والتشرذم في الأمة،يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله – :(إن سبب الاجتماع و الألفة جمع الدين، والعمل به كله وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً وظاهراً، وسبب الفرقة ترك حظ مما أُمر العبد به، والبغي بينهم، ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه،....ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول منهم)[١٠٢] ويقول ايضاً: (ولست تجد اتفاقاً وائتلافاً إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك، ولا تجد افتراقاً واختلافاً الا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه، قال الله – تعالى –: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع

الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم بشيء فاته من الرحمة بقدر ذلك)[١٠٣] ويقول ايضاً: (البدعة التي يُعد يها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجته)[١٠٤] والغلاة والمتطرفون والخارجون في الوقت الحاضر وقعوا في الافتراق وخرجوا عن الجماعة وأهلها بسبب غلوهم وتطرفهم، فابتدعوا أموراً أدت إلى التفرق والتشرذم بين المجتمع المسلم[١٠٥] يقول أبو محمد اليمني – يرحمه الله –: (إن أهل البدع والأهواء سموا بهذا الاسم لابتداعهم لأشياء ليست من الشريعة، وهوائهم لأمور استحسنوها، فدعوا الناس إلى الدخول فيها، وهي بعيدة عن الحق الأنور والشرع الأظهر)[١٠٦] ومن مخاطر الخروج عن الجماعة اختلال القيم والمعايير الفكرية والأخلاقية، فالخروج يأتي بقيم ومبادئ غريبة عن الإسلام، بل والأخطر من ذلك نسبتها إليه، كأخذ الحقوق بالقوة دون الرجوع إلى ولي الأمر، وتكفير المسلمين، واستحلال أموال الغير، وعدم جواز طاعة ولي الأمر، وكل هذه القيم والمبادئ غريبة عن الإسلام، ويحاول الخارجون عن الجماعة نسبتها إلى الإسلام، مما يؤدي إلى اختلال المعايير بين أفراد المجتمع، والوقوع في حيرة في تخير القيم الصحيحة وازدواجية المعايير، ومن مخاطر الخروج إشعال الصراعات الإقليمية والطائفية، فقتل الناس خصوصاً ذوي الآراء المخالفة لهم يؤدي إلى حدوث فتن طائفية في المجتمع، وظهور العنصرية التي هي بداية هلاك الأمة، كما أن قتل الأبرياء من طائفة دينية أو عقدية أخرى يؤدي إلى نشوء الخلافات والصراعات وربما الحروب التي تهلك الأمة، وتثير الرعب والفزع وعدم الأمن بين أفرادها، وتدمير المنشأت وتخلف الأمة عن ركب الحضارة، ومما لا شك فيه أن أخطر ما يواجه عالمنا اليوم هو تنامي المنظمات الخارجة عن الجماعة التي تنقض على الشعوب في العالم أجمع، فلم تعد هذه المنظمات مقتصرة على دولة بعينها، بل هي اليوم قد غدت ظاهرة دولية خطيرة،ويجري تنفيذ مخططاتها في مختلف بلدان العالم شرقاً وغرباً، وكل هذه الأمور تؤدي إلى التشرذم والتفرق في الأمة الإسلامية،

المطلب الثالث: الاستدراك على الدين الإسلامي:

إن الخارجين عن جماعة المسلمين يتبعون الخوارج في تفسيراتهم الخاطئة للنصوص النقلية، حيث كان ابن عمر – رضي الله عنهما – يراهم شرار الخلق فقال عنهم: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[١٠٧] ويقول الضحاك – يرحمه الله –: (أهل نهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة، وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال، وشهدوا علينا بالضلالة)[١٠٨] ويقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: (والخوارج أتوا من سوء فهمهم للقرآن وإن لم يقصدوا معارضته، لكنهم فهموا منه ما لا يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب إذ كان المؤمن هو البر، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: عثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله)[١٠٩] فلذا تكمن خطورة الخارجين عن الجماعة، في كون أصحابها ينتسبون إلى الإسلام، حيث يستخدمون

الخطاب الديني في تبرير منهاجهم النظري والسلوكي، وهذا الاستخدام ما هو في الحقيقة إلا توظيف للخطاب الديني من أجل تقديم مصداقية لفكرهم المنحرف، فهم ليسوا ملحديين ولا علمانيين، ليبقوا بعيدين عن النص الشرعي، ويستخدمون الأدلة وفقاً لما يعتقدونه، وهذا الشكل من توظيف الخطاب الديني من قبل المعارضين للجماعة هو ما نجد مصداقيته في قول الرسول – عليه الصلاة والسلام – واصفاً الطائفة المارقة (الخوراج): (يقولون من خير قول البرية)[١١٠] فهم يعمدون إلى توظيف الخطاب الديني بطريقة توحي إلى شرعيتهم، حيث يقدمون في جزء من خطابهم إما استدلالات عن النصوص التي يسوقونها، وأما بدليل شرعي مأخوذ من مجمل الفهم العام أو الخاص للقضية التي يناقشونها، ولكن هذا لا يعني صحة ذلك ولكنه توظيف للخطاب الديني لإطفاء الشرعية، ومن الأشكال الأكثر جراءة في توظيف أصحاب الفكر المنحرف للخطاب الديني، إصدار الأحكام الدينية في حق الأطراف الأخرى، التي لا تنتمي إليهم ابتداء من ولاة الأمر إلى كبار العلماء إلى طلبة العلم والدعاة ثم إلى طبقات المجتمع الأخرى، وهذا تصدر خطير للخطاب الديني إذ فيه من الجراة والتحدي الشيء الكثير، فكثير من هذه الأحكام التي تصدر قد تتضمن حكماً قاطعاً بكفر الآخر وبخلوده في النار، أو بحل قتله أو تحريمه والتطاول عليه، وهذا ما وضحته السنة النبوية كما في حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: (بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله أعدل، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (ويلك ومن يعدل إن لم أعدل)[١١١] وبذلك يظهر من تلك الحادثة أن أصحاب الفكر المنحرف يوظفون الخطاب الديني بإصدار أحكام شرعية (أعدل) وفي حق أعدل خلق الله – تعالى – وهو أمر ينبئ عن الجرأة على الشرع، والتطاول على أولياء الشرع، وهذا ما فعلوه مع أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – حيث حكموا عليه بالكفر وبالشرك وقرأوا في حقه آيات لا تطاول إلا المشركين، بل وطالبوه بالتوبة والدخول في الإسلام من جديد، وفي قتالهم له حكموا لأنفسهم بالجنة وبرضوان الله، ولعلي – رضي الله عنه – ومن يقاتل معه بالنار وسخط الله، وهذا تصدر من أصحاب الفكر المنحرف الخارجين عن الجماعة خطير ومسلك له عواقبه وآثاره، إذ يصدرون الأحكام في حق المسلمين دونما رادع ولا معرفة، فهم بطريقتهم الأخذ بحرفية النص دون النظر إلى معانيه والمقصود منه بالنظر إلى سنة الشارع في الخطاب، بجمع النصوص والرجوع إليها في فهم المراد، مثال ذلك فهم قول النبي – عليه الصلاة والسلام - :(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[١١٢] فإن الأخذ بجزئية قوله (كفر) تدل على أن المسلم المقاتل لأخيه المسلم يكفر، ولكن المراد ليس ذلك بل المراد الكفر غير المخرج عن الملة، بدليل قول الله – تعالى –: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [الحجرات: ٩] يقول البخاري – يرحمه الله –: (فسماهم مؤمنين)[١١٣] ويقول ابن حجر – يرحمه الله –: (استدل المؤلف على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر لأن الله – تعالى – أبقى عليه اسم المؤمن فقال ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ثم قال (فأصلحوا بين أخويكم) كما استدل أيضاً بقوله –

صلى الله عليه وسلم –: (إذا التقى المسلمان بسيفهما)(١١٤) فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار)(١١٥) وبذلك يتضح مدى استدراك أهل البدع على الشريعة الإسلامية، فالخارج عن الجماعة يتعدى ويتجاوز حدود الله – تعالى –: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فالخارج عن الجماعة قد غالى في أمر من أمور الدين فعلاً أو تركاً متعد لحدود الله ظالم في فعله، فدين الله وسط بين طرفين ذميمين، وهو هدى بين ضلالتين، فالخارج يخوض فيما نهى الله عنه من نصوص القرآن والسنة ابتغاء للفتنة، ومن أهم الأسس عنده المراء والجدل، مع التجرؤ على أصول الدين، ومسائل العقيدة التي لا يجوز الخوض فيها بالعقل و الهوى والرأي، لأن ذلك من شأنه أن يقود صاحبه إلى تكذيب القرآن والسنة والارتياب والتنقل من دين إلى دين والوقوع في العداوة والبغضاء في القلوب، وهذا ما أخبر به الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)(١١٦) (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بالكتاب)(١١٧) فثمرة تعدي حدود الله ودينه والاستدراك عليه، والتجرؤ على الغيبيات هو اتباع الهوى والميل عن الحق وتحكيم الرأي والعقل مع نبذ النصوص الشرعية وبذلك ينتشر التفرق بين المجتمع المسلم لعدم اتباعه الوحيين القرآن والسنة.(١١٨)

المطلب الرابع: التناقض :

إن من أصول أهل الأهواء والبدع الذين يخرجون عن الجماعة إثبات بعض الأدلة و الإقرار بها ابتداًء، ثم الأتيان بما يوجب إبطالها وردها في نهاية الأمر، وهذا تجده في معظم الفرق التي خالفت منهج السلف الصالح لكونهم جانبوا الحق في الأصول،فهم إن سلموا بدلالة النصوص فإنما يستدلون بما يتفق مع آرائهم وأهوائهم، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: (وهذا ما تبين به تناقضهم حيث أثبتوا الأدلة السمعية ثم قالوا ما يوجب إبطالها، وحيث أثبتوا الأدلة العقلية ثم قالوا ما يوجب تناقضها(١١٩) فإن العقل يُعلم به صحة الأدلة السمعية، فمتى بطلت بطل العقل الدال على صحة السمع والدليل مستلزم للمدلول، ومتى انتفى اللازم انتفى ملزومه الذي هو الدليل فيبطل العقل)(١٢٠) فالخوارج قد استدلوا في مسألة التحكيم بأدلة من القرآن الكريم كقوله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة: ٤٤] (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] وعند تنفيذ أحكام الله ردوها وقالوا: إنا لا نحكم الرجال، وفي الحقيقة هم يحكمون بالكفر والفسق والضلالة والظلم كحكمهم على الصحابة – رضي الله عنهم – بالكفر والفسوق والخلود في النار(١٢١)، مع أن من أحكام الله – سبحانه وتعالى – أن نسلم قلوبنا من الحقد والغل على صحابة الرسول –عليه الصلاة والسلام– (١٢٢) وهم يستدلون بأدلة القرآن الكريم على وجوب تحكيم أوامر الله – تعالى – ثم يقومون بنقيض الأدلة، يقول الله

– تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] ومع ذلك عندما لقوا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي عنقه مصحف، ومعه جارية وهي حامل، قالوا له: إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فقال: أحيوا ما أحيا القرآن، وأميتوا ما أمات القرآن، ثم سألوه عن أبي بكر وباقي الخلفاء فأثنى عليهم فقالوا له: إنك لست تتبع الهدى، فأخذوه وقربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، وقتلوا جاريته، وهذه الأمور التي قاموا بها كلها تؤدي إلى رد الأدلة التي استدلوا بها، وإلى إبطالها.[١٢٣] وكذلك قاموا بتكفير المسلمين بالذنوب حيث إن الناس عندهم قسمان: مؤمن لا ذنب له، وكافر لا حسنة له، ويستدلون على تقسيمهم بالأدلة من القرآن الكريم، والأدلة نفسها من القرآن الكريم تقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، يقول الله – تعالى –: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢] فدل ذلك على تناقضهم وزعمهم بتحكيم القرآن الكريم، ومن تناقضهم أيضاً أنهم يستدلون على تحكيم أوامر الله – عزوجل – بالآيات القرآنية، ومع ذلك ردها بالفعل،حيث خرجوا على ولاة الأمر وحاربوهم، مع أن الله – تعالى – في كتابه أمرنا وحكم علينا بطاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم، ويستدلون بقول الله – تعالى –: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤] ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فيقولون: بوجوب عداء المشركين والكفار، وعند التطبيق والعمل فإنهم يقربون المشركين ويحسنون إليهم، ويعطفون عليهم، وهذا ما فعلوه عياناً بياناً عند خروجهم إلى[١٢٤]النهروان، حيث لقوا مسلماًونصرانياً، فقتلوا المسلم[١٢٥]، وأطلقوا النصراني ووصوا به خيراً فأثبتوا الأدلة السمعية ثم قاموا بردها،وهذا ما أخبر به الصادق المصدوق – عليه الصلاة والسلام – الذي قال: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[١٢٦] وقد أجمع الخوارج[١٢٧] على أن من أتى بكبيرة مما توعد الله – تعالى – عليها بالعذاب فهو كافر، ومن نظر إلى امرأة أجنبية أو قبلها فهو مشرك، واستدلوا بكفر إبليس حيث إنه لم يرتكب إلا معصية واحدة أُمر بالسجود لآدم فأمتنع فهو مخلد في النار[١٢٨] ويستدلون بقول الله – تعالى –: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٤] ومن السنة يستدلون بقوله – عليه الصلاة والسلام –: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)[١٢٩] (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[١٣٠] (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[١٣١] فهم يستدلون بالأدلة القرآنية على تحريم القتل ومعصية الله – عز وجل – ثم يردون الأدلة نفسها، فيقومون بقتل المؤمنين وسرقة

أموالهم ونهبها، واستحلال المحارم والنساء، ويستدلون بالسنة على تحريم إطلاق ألفاظ الكفر والفسق والظلم على المسلمين، ثم يردون ما استدلوا به بتكفيرهم المؤمنين والمسلمين، وهذا رد صريح للسنة، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: (وأصول مذهبهم تعظيم القرآن وطلب إتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون إتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة[١٣٢]وغير ذلك)[١٣٣] وفي هذا رد صريح للقرآن أيضاً لأن الله أمرنا في القرآن الكريم بوجوب إتباع السنة، فموقفهم هنا من الأدلة إثباتها ثم ردها بالكلية، ومن تناقض الغلاة في الوقت الحالي، اختلاف الوسائل والمناهج التي يفكرون بها، ثم يصلون في النهاية إلى التباعد والتقابل والتناقض في نتائج أفكارهم وأبحاثهم، ولذلك نجد أن أهل الأهواء والبدع في كل وقت أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه في موضع آخر، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل على عدم اليقين فالإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد، يقول عمر بن عبد العزيز – يرحمه الله –: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[١٣٤] ومن تناقض الخارجين عن الجماعة أنهم يحاربون التقليد وينكرون الإجماع ويقولون: لا يصح أن يشرع لنا الرجال ديناً، ثم نطيعهم فيكونوا آلهة وارباباً من دون الله، ثم يقولون: إنها البيعة بمعنى البيعة، يخطئ من يظن أنها أقل من بيع النفس كاملة لله، من خلال الجماعة المسلمة المتمثلة في عقد على يد إمام إنه بمقتضى هذه البيعة، ينبغي أن يكون الإمام أقرب إلى نفسه، وأولى بها من حيث إنه قد باع وانتهى الأمر[١٣٥] ويقولون: (إن للإمام أن يتدخل ليوجه عناصر القوة في الجماعة، وأن يُنسق بينها، حسب رؤيته للمصلحة...، إن الذين يظنون أن له أن يتحكم في الأرواح والدماء، فيحدد ميعاد المعارك وخطتها ثم لا يرون له حقاً في أن يتحكم في الأموال حيث يشاء، وينقل منها حيث يرى المصلحة،...إن الذين يظنون أنه له هذه (هكذا) وليس له هذه، قد ضربوا المثل الرفيع في الحماقة)[١٣٦] ومن أقوالهم: (إن للإمام أن يأمر بالأمر من غير بيان علة الأمر، بل من الواجب عليه ذلك فيما يرى أن في كتمانه صلاحاً، أو أن في إفشائه خطأ، وعلى المسلم أن يسمع و يطيع في كل ذلك حتى فيما دخل منه الاحتمال أو الشبهة، إذ ليست الشبهة والاحتمال معصية مستيقنة أو كفراً بواحاً)[١٣٧] وهذا تناقض ظاهر إذ ينهون عن قبول الإجماع ويرون الحجة في قول إمامهم أو شيخهم،ويأمرون بقبول قوله من غير بيان لعلة الأمر أو دليله، وينهون في نفس الوقت عن التقليد، ثم يأمرون بتقليد أفراد الجماعة للقائد، دون مراجعة أو معرفة بعلة الأمر.

المطلب الخامس: تشويه صورة العقيدة الإسلامية:

إن الخارجين عن الجماعة الإسلامية قد يقومون بأعمال إرهابية تزعزع الأمن والاستقرار يترتب عليها تشويه سمعة الإسلام، وتنفير الناس منه، وإلصاق تهم الإسلام منها براء، بل يحذر الدين الإسلامي من الإرهاب ومن أصحاب الفكر المتطرف المنحرف، وينهى عن الميل والتجاوز والتطرف والغلو في الدين[١٣٨] يقول الله – تعالى – محذراً من خطورة الغلو

والتطرف وناهياً عنهما: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ١٧١] فالفكر المنحرف الخارج عن الجماعة الإسلامية حينما يتشكل داخل الأمة الإسلامية وداخل المجتمع المسلم فإنه يحدث شرخاً صارخاً في جسد الأمة الواحدة، حيث إن خطر الفرقة الناجمة من الفرق الضالة والاتجاهات المتطرفة أشد وقعاً من غيرها لأنها تحدث باسم التدين والدعوة والإسلام ،ولذا فهي تصيب النسيج المجتمعي لوحدة الأمة التي أساسها العقيدة والدين في مقابلها، وتعكس صورة سلبية تمس الموقع الحضاري للأمة ورسالتها الإسلامية ودعوتها العادلة الخيرة، فحينما يرى العالم الآخر حدوث انقسامات في مجتمع مسلم يدعي أن عقيدته واحدة ورسالته واحدة، وكتابه واحد، فإن هذا سيؤدي إلى نوع من زعزعة الثقة وإثارة التساؤلات حول الإسلام ودعوته ومدى فاعليته في نشر الأمن والأمان والعدل في العالم، ولا يمكن للمدقق أن يتصور حجم الخلل الذي تركه مروق الخوارج من جيش أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – ثم تشكيلهم لإمرة خاصة بهم، ثم مقاتلة الدولة الإسلامية التي تربوا في أحضانها، حيث إن العنف والمواجهة في خط الذات الواحدة لا يأتيا بخير بل يصنعا الحواجز النفسية وهذه الحواجز النفسية تعزز صور الاختراق وتشويه صورتنا الإسلامية أمام العالم أجمع، حيث إن المواجهات الداخلية تضعف الصف الإسلامي الواحد، وبالتالي تفقد الأمة هيبتها أكثر مما هي عليه وتكون مدعاة للتداعي عليها أكثر مما هي عليه، وتخسر أيضاً كافة معالم مقومات قوتها بين الأمم، حتى أصبح مصطلح الإرهاب – زوراً وبهتاناً – قريناً لدين الإسلام فلا يكاد يطلق هذا المصطلح إلا ويراد به الإسلام، ويُكاد به نبيه – عليه الصلاة والسلام – فكان من عواقب ذلك أن شُوهت صورة الإسلام عموما، وصورة القرآن الكريم وصورة النبي – عليه الصلاة والسلام – خصوصاً، فإذا أراد أحد أن يتعرف على دين الإسلام، أو أن يقرأ ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أو أن يحيط علماً بسيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – استحضر هذا المصطلح فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير، وحال هذا المصطلح بينه وبين ما يشتهي، لذا فإن مصطلح الإرهاب يُصور الإسلام كأنه دين يسترخص النفس البشرية، فيحمل صاحبها على الإلقاء بها إلى التهلكة والإقدام على العمليات الانتحارية، ويحرضها على قتل الأبرياء وترويع المستأمنين، كما يسوغ لها الغدر بالعهود، وعدم الوفاء بالعقود، ويسعى أرباب هذا المصطلح إلى إقناع غير المسلمين بأن هذا الإسلام الذي نهجه كما زعموا – لا يصلح ديناً يعتنقونه لأنه – في نظرهم – دين يقوم على القتل والترويع والإتلاف، ويعمدون إلى طمس صوره الحقيقية وتشويهها بإيراد هذه الصورة التي نُكل بها بكل وسيلة من وسائل الإعلام، يقول القس الأمريكي(فالويل): (إن الإسلام بذاته دين إرهابي، وإن محمداً أول إرهابي)[١٣٩] وترسم الأفلام السينمائية الغربية صوراً نمطية متحيزة وغير منصفة للعرب وللمسلمين، وتلقى هذه الصور رواجاً كبيراً عند الغربيين الذين يتأثرون بها ويتلقفونها في وقت واحد تقريباً حيث ترسخ في

عقولهم جميعاً، فتكون ثقافة جمعية تعادي المسلمين والإسلام بصورة خاصة، نظراً لتوسع استهلاك الغربيين لمنتج الصناعة السينمائية، فقد قامت السينما الغربية عموماً ومعقلها (هوليود) على الخصوص بتأجيج نيران العداء الغربي الأمريكي ضد المسلمين حيث تشكل صناعة السينما إلى حد كبير ليس فقط الرأي العام مع أهمية دوره في المجتمعات الغربية، بل الوجدان ومجموعة القيم والرموز التي تمثل عصب الحياة في العالم الغربي، لذا فإن الغلاة الخارجين عن الجماعة تسببوا في تشويه الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية، فأصبح بعض الأعداء يصورون القرآن الكريم والنبي – عليه الصلاة والسلام – بصورة تظهر تحريضهما الأكيد على العداء، وحبهما الشديد لإراقة الدماء[١٤٠] وأنهما يرغبان في إلقاء المسلم نفسه في التهلكة، وإقدامه على الجهاد في سبيل الله – تعالى – حيث يلحق بركب الشهداء الذين نشروا الإسلام بحد السيف –كما زعموا – فيزعمون أن القرآن ما هو الإكتاب مشتمل على آيات محكمة في مشروعية القتال والحث عليه، والأمر به والتنويه بفضله والإرشاد إليه، وأما السنة النبوية في زعمهم فهي مقتصرة على الترغيب في الجهاد والتنويه بفضل المجاهدين، والحث على القتال في سبيل إعلاء كلمة الدين [١٤١] وما تناولت حملات المناوئين قديماً وحديثاً ضد الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية وشخصية الرسول – عليه الصلاة والسلام – إلا عندما شجعهم الخارجون المناؤون للجماعة بأفعالهم الشاذة.

المطلب السادس: غياب الوسطية:

إن الغلو في الدين والإخلال بالجماعة هو الطريق إلى التطرف الفكري والاعتقادي، والفهم الخاطئ للدين قد يدفع الإنسان إلى محاولة فرض ما يعتقده ويؤمن به بالقوة، وهذا ما أثبته الواقع المشاهد، وقد نهت الشريعة الإسلامية عن الغلو في الدين، وحذرت المسلمين منه حتى لا ينجرفوا وينحرفوا، فجعل الله – تعالى – هذه الأمة وسطاً لأن دينهم كذلك، يقول الله – تعالى -: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ويكاد يجمع العلماء والمفسرون وأهل اللغة بأن معنى قوله – عز وجل -: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدولاً خياراً وهذا المعنى يتوافق مع بقية الآية حيث إن الوسطية علة لتكليف الأمة بالشهادة على الأمم: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] والشهادة لا تقوم إلا بالعدل ولا تقبل إلا من عدل[١٤٢] فالغلو والإخلال بالجماعة خلاف الوسطية، فإذا كانت الوسطية تعني الاعتدال والتوازن في الأمور كلها، فإن الغلو يعني الشقة والتضييق على النفس بإتباع طريق واحد بعيد عن أمة الوسط، ووسطية الإسلام توازن بين الأحكام فلا غلو ولا تشدد ولا تفلت ولا تسيب، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام، وقد ضرب لنا رسول الله – عليه الصلاة والسلام – المثل العملي في ذلك مع بعض الصحابة – رضي الله عنهم – الذين شددوا على أنفسهم بحثاً عن المزيد من الطاعة، فقال أحدهم: أصوم الدهر كله ولا أفطر، وقال الآخر: أقوم الليل كله ولا أنام، وقال الثالث: لا أتزوج النساء، فلما بلغ ذلك رسول الله – عليه الصلاة والسلام – عَّلمنا درساً عميقاً في الوسطية والاعتدال، حيث قال: (أما والله إني لأخشاكم

لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١٤٣] حيث إن ذلك بعيد عن روح الإسلام ومبادئه التي بنيت على التيسير وعدم التنفير[١٤٤]، وما خير رسول الله – عليه الصلاة والسلام – بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم، وقد قال – سبحانه وتعالى –: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] وقال – جل شأنه –: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال – سبحانه –: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٥٨] ووسطية الإسلام تحصين للمجتمع من الإفرازات التي يمكن أن توجد بسبب التضييق من الغلاة الخارجين عن الجماعة الإسلامية الذين يعتمدون على نظرة ضيقة للكون والحياة وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لهم باسم الدين، ويدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير الناس، بل والنيل من أعراض العلماء ووصفهم بصفات غير لائقة، فالغلو والخروج عن الجماعة باب إلى التطرف الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة، فالإسلام باعتباره وحياً معصوماً هو دين الوسطية، والأمة الإسلامية بمجموعها هي الأمة الوسط، لا يمكن أن تجتمع على ضلالة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وليس بين الوسطية والإرهاب الفكري والإخلال بالجماعة تلاق وتوافق أبداً، وإنما تنافر وتناكر، وذلك أن من أهم خصال منهج الوسطية (العلم بالحق والرحمة بالخلق) كما أن من أهم ضرورياته التمييز بين الفكرة والمفكر، أو العالم والمعلومة، وبين المقولة وقائلها، وعدم الربط بين التأثيم والتخطيء، أو الإلزام من غير التزام، أو التكفير من غير أعذار بتأويل سائغ، أو حجة بالغة، تزول منها الشبهة وتنتفي، إلى غير ذلك من أصول وقواعد تبحث في مظانها، فقد تكون الفكرة أو المعلومة، أو المقولة، خاطئة في حد ذاتها، ولكن ليس بالضرورة أن يكون المفكر، أو العالم أو القائل بها قاصداً الإساءة، ومريداً منها الشر، ومن ثم يكون مجرماً، كلا، فقد يكون مجتهداً وله من الأجر ما قرره الشارع للمجتهد المخطئ، من هنا يتوجه النقد إلى الفكرة ببيان عورها وكشف تضاربها من خلال محاكمتها إلى منطوق النص المعصوم ومفهومه، باعتباره المرجع المتفق عليه على مدار التاريخ الإسلامي كله[١٤٥] وكذلك أن ما يلزم من مقولة، أو معلومة، أو فكرة ليس بالضرورة أن يكون هو مراد القائل بها، ما لم يظهر إلتزامه بما يلزم منها، وبناء على قاعدة (لازم المذهب ليس بمذهب ما لم يعرض على صاحبة فيلتزمه)، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: بعد ذكر جملة من علماء الكلام مبيناً جهدهم في خدمة الإسلام رغم مجانبتهم لمنهج الحق في تقريراتهم العقدية: (ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة وهم الفضلاء العقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره

المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما فيهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أواسطها، وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العمل والدين، والله – تعالى – يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز عن السيئات)[١٤٦] فلا إنكار فيما هو محل خلاف شرعي مستساغ، ولا تغيير لمنكر يترتب على تغييره منكر أكبر منه، ولكن مع ذلك كله لا عصمة لأحد من الخطأ، ولا أمان له من الغلط، بل الجميع معرض للأخذ والرد، وأي محاولة لمنع ذلك وإدعاء خلافه نوع من الانحراف الفكري يلزم مقاومته، فإن الله – عزوجل – لم يجعل أحداً من البشر معصوماً من الغلط والخطأ، بل قرنهم بالحاجة، ووصفهم بالضعف والعجلة، ولم يخص بالعلم قوماً دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده، يفتح للآخر منه، ما أغفله من الأول، وينبه المقل معه على ما أغفل منه الكثر، ويحييه بمتأخر يتعقب قول مقدم، وتال يعتبر على ماض [١٤٧]، ولابد أن يعرف العبد أن وسطية الإسلام في التفاعل مع عالم الأفكار لا يعني ترك الأمور فوضى لا ضابط لها، وترك قلوب الأمة كيف يشاء، تقول بوحدة الأديان، ونسبية الحقيقة، لا تبالي بأي شيء، لأن هذا أمر غير متصور في مجتمع يجعل من الإسلام مرجعه المعصوم في تبين خيوط الحق من الباطل، وإنما يعني دعوة إلى الفكر البناء الذي يبني المجتمع بناءً حضارياً متماسكاً متوازناً، من كل جوانبه الحياتية مستمداً ذلك من الكتاب والسنة، ليجعل منه بناءً قوياً في بنائه العقدي، وتماسكه السياسي، ونموه الاقتصادي، وتقدمه العلمي، ولهذا تكون الحسبة في ما يقال من الأفكار في المجتمع المسلم أحد أهم أعمدة تماسكه، وليس بأي حال من الأحوال مظهر من مظاهر الانحراف الفكري.

إن الوصف الجليل الذي وصفت به الأمة في قول الله – تعالى–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] يقتضي العدل والرحمة والخيرية في كافة الأمور هدى مفعم بالرحمة والاعتدال والوسطية في الأقوال والأفعال والاعتقاد، إن هذا الهدي بات واضحاً في سيرة هذه الأمة ومنهجا ولا شك أن الأمة تعرضت في أزمان وحقب متعددة إلى بعض النكايات ممن خالفها في عقيدتها ومسيرتها لكن سرعان ما اضمحلت هذه الأفكار لأنها لا تمت للعلم بصلة فهي نشاز في الفكر والتعامل، فالفكر التكفيري لا يعرف وطناً ولا جنساً ولا مذهباً ولا مكاناً ولا زماناً، وإن المشاعر كلها تلتقي على رفضه واستنكاره لكونه علامة شذوذ ودليل انفراد وانعزالية.

المطلب السابع: الوقوع في البدع:

إن الغلو والمغالاة في التدين والتشدد والتصلب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً، يقود إلى الضلال، فعندما ينظر الفرد إلى الطمع أي الوصول إلى الفوز بالجنة، فيشدد في الأحكام الشرعية، وقد يضيف من تلقاء نفسه ومن هواه وعقله ووسائل جديدة تقربه إلى الله – تعالى – فيشعر بالتقصير الذاتي والندم على ما مضى من حياته، وقد يؤدي بالفرد إلى الزيادة

في الدين والتشدد في الأحكام والعبادات بل ومجاوزة الحد المشروع مع ضعف العلم الشرعي، في الوقت الذي يشعر فيه الفرد بأنه دخل في زمرة العلماء وهو في حقيقته يجهل الكثير من العلم فهو يعرف نتفاً من العلم، ويجهل الكثير، فمن أكبر الأسباب التي تؤدي إلى البدع والإخلال بالجماعة المؤدي إلى تفرق الأمة شيعاً، وجعل بأسها بينها شديداً أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[١٤٨]، ويقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم من أكابرهم)[١٤٩] ويقول ابن مسعود – رضي الله عنه –: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن أكابرهم، فإذا جاءهم العلم من أصاغرهم فذلك حين هلكوا)[١٥٠]، والمراد بالأصاغر الجهلة الذين يقولون برأيهم وبغير فقه في الكتاب والسنة فيضلون ويضلون، والغلاة والخارجون عن الجماعة في الغالب أصاغر في العلم وبسببهم تضييع الأمانة، فإن ترؤس هؤلاء الأصاغر الجهلة مؤذن بقرب قيام الساعة، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قالوا: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[١٥١] يقول الشاطبي – يرحمه الله –: (يعتقد الإنسان في نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ولم يبلغ تلك الدرجة فيعمل على ذلك ويُعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها، حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا رسوخ في فهم مقاصدها وهذا هو المبتدع)[١٥٢] وإن الدارس لحال الخوارج الأولين يخلص إلى تقرير منهجهم وأصولهم العامة، إلى أن من أخص صفاتهم الجهل بالكتاب والسنة مع ظنهم بأنفسهم أنهم على الحق المبين، وهذا ما يتميز به الغلاة في الوقت الحاضر، ويكفي في ذلك وصف الرسول – عليه الصلاة والسلام – للخوارج بقوله: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)[١٥٣] فبين أنهم سفهاء الأحلام وهذا دليل على ضعف عقولهم وغلبة الجهل عليهم، ووصفهم بأنهم حدثاء الأسنان، وحديث السن في الغالب أقرب إلى الجهل والطيش والتسرع، وعدم الروية، وجنوح الفكر والتطرف في الرأي من كبير السن، الذي عركته الحياة وحنكته التجارب، وأدرك أهمية النظر في المآلات والعواقب، فلذا فإن الغلاة الخارجين عن الجماعة يعتقدون بأنفسهم أنهم على الخير فيتمادون فيه فيكفرون الحاكم والمحكوم، ويستحلون الدماء والقتل، ويكفرون الشخص المعين دون مراعاة الضوابط الشرعية في تكفيره، ويتحكمون في الأسماء والأحكام مع أن هذه المسألة حق من حقوق الله – سبحانه وتعالى– فهو الذي يعلم المؤمن من الكافر، والصالح من الطالح، والحسن من القبيح[١٥٤]، وما فعلوا كل ذلك إلا لاعتقادهم أنهم على الحق فيتمادون فيقومون بعمليات الحرق والسطو على المحلات والهجوم على الأسواق، وخطف الطائرات، ونسف المجمعات السكنية والكيانات العمرانية، والمنشئات الصناعية والتجارية مع استخدام القنابل والمركبات المدججة بالعبوات

المتفجرة وتفخيخ الآلات المتعددة، وكل ذلك وزيادة يقومون به لاعتقادهم أنهم على الحق[١٥٥] وفي الواقع أنهم قد غلوا في الدين بسبب الاندفاع دون بصيرة بغية الظفر بأعلى الدرجات واحتلال أرفع المنازل، ويرافق هذا الاندفاع حركة متسرعة واضطراب في الرؤية وفساد في التصور، وقد يكون بسبب سوء فهم حقيقة الدين وأحكامه وجنوح الفهم عن الرؤية الصحيحة لحدود الدين والرغبة باحتلال مراكز الاحترام والتقديس لدى العامة الذين يرون أن الغلو في الدين ارتقاء في مراتبه ولا يدركون أن كمال الدين بالتزام حدوده[١٥٦]، ولذا حرم الدين الإسلامي الغلو والتطرف والتشدد لأنه منفر لا تتحمله الطبيعة البشرية ولو صبر عليه قليل لم يصبر عامة الناس وجمهورهم، لذا قال الرسول – عليه الصلاة والسلام- لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه -: (أفتان أنت يا معاذ وكررها ثلاثاً)[١٥٧] عندما أطال في صلاة الجماعة، فالغلو قصير العمر، والاستمرار عليه غير يسير، فالإنسان ملول وطاقاته محدودة، وإن صبر عليه يوماً فسرعان ما يسأم فينتقل من الإفراط إلى التفريط، لذا كان التوجيه النبوي: (عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)[١٥٨] ولا يخلو الغلو من جور على حقوق الآخرين، التي يجب أن تُراعي وواجبات يجب أن تؤدي، لذا قال الرسول – عليه الصلاة والسلام – لعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – حين بلغه انهماكه في العبادة حتى نسي حقوق أهله، قال: يا عبد الله (ألم أُخبر بأنك تصوم النهار وتقوم الليل؟) فقال: قلت: بلى يا رسول الله، فقال – صلى الله عليه وسلم -: (فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً)[١٥٩] وقد حدثنا الله – عزوجل - عن الذين غالوا في دينهم فكانت نتيجة غلوهم الكفر، يقول – سبحانه وتعالى-: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] وقد يؤدي إلى تحريم ما أحل الله – سبحانه وتعالى- يقول الله – تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٣٢] أو التخلي عن الدين، أي يُصاب الفرد بردة فعل معاكس لما كان يفعله فيتخلى عن الدين، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام -: (إن هذا الدين يسر فأوغلوا فيه برفق)[١٦٠] أو التطرف أي: اعتقاد إنسان أو مجموعة أنها تحتكر الحقيقة وهي التي على صواب، والغير على باطل ولذلك تجتهد في فرض رأيها ومعتقداتها على الآخرين بجميع الوسائل بدون ضوابط[١٦١]، فيؤدي ذلك إلى انتشار البدع في المجتمع.

المطلب الثامن: الانقطاع عن العمل:

نهى الله – سبحانه وتعالى – في كتابه العزيز على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الغلو، لأن الله – تعالى – قد أكمل دينه وأتم نعمته، فالغلو يعني الزيادة، وهذه الزيادة تعني خروجاً عن قاعدة الوسط في الإسلام إلى أحد الانحرافين، وهو الإفراط أو التفريط، وهو أمر مرفوض في الإسلام فالله - عزوجل - جعل الإسلام صراطه المستقيم، لتكميل البشر في أمورهم الروحية والجسدية لتكون وسيلة للسعادة الدنيوية والآخروية، ولما كانت الأمور الروحية التي تنال بها سعادة

الآخرة من العقائد والعبادات لا تختلف باختلاف الزمان والمكان أتمها الله – تعالى – وأكملها أصولاً وفروعاً، وقد أحاطت بها النصوص فليس لبشر بعد الرسول – عليه الصلاة والسلام – أن يزيد فيها ولا أن ينقص منها شيئاً، فالغالي في الدين يشق على نفسه فيعارض تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر ورفع الحرج، فيسر الإسلام خاصة من خصائصه التي أمتاز بها عما سواه من الأديان، إذ كان من حكمة بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – رفع الإصر والأغلال الواقعة بالأمم من قبلنا يقول الله – تعالى – في محكم كتابه: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالغالي يشق على نفسه، ويقسو على ذاته[١٦٢] فالغلو منفر لا تحتمله طبيعة البشر العادية، ولا تصبر عليه، وعمر الإنسان قصير فيمل الإنسان العمل ويدعه حتى القليل منه، أو يأخذ طريقاً آخر على عكس الطريق الذي كان عليه، أي ينتقل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسيب، فالغالي عندما يشدد على نفسه لا يخلو عمله من جور على حقوق أخرى يجب أن تُراعى وواجبات يجب أن تؤدى، وهذا ما وضحه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما – حين بلغه انهماكه في العبادة إنهاكاً أنساه حق أهله عليه فقال له: (فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً)[١٦٣] يعني فأعط كل ذي حق حقه ولا تغفل في ناحية على حساب أخرى، وما أصدق ما قاله بعض الحكماء: ما رأيت إسرافاً إلا وجانبه حق مضيع، فالغالي مع تشدده وتعمقه لا يستطع أن يثبت، بل لابد أن يغلبه الدين الإسلامي بيسره وسماحته، وهذا ما وضحه الرسول – عليه الصلاة والسلام – بقوله: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[١٦٤] وفي لفظ (القصد القصد تبلغوا)، يقول الحافظ ابن حجر – يرحمه الله –: (لا يتعمق في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب)[١٦٥] ومع انقطاع العمل فإن الغالي يحبط عمله لأنه بغلوه خرج عن السنة وأحدث في دين الله ما ليس منه فيرد عمله، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[١٦٦] ويكون بغلوه قد خرج عن الجماعة والطاعة فيموت ميتة جاهلية، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية)[١٦٧] فالغلو يؤدي إلى الهلاك كما أخبرنا الرسول – عليه الصلاة والسلام–: (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) وفي رواية: (فاهلكوا)[١٦٨] بفتح اللام وفي رواية بضم أوله وكسر اللام، فكل من غلا في الدين غلواً عقدياً فيحكم عليه بالمفارقة والخروج عن سبيل أهل السنة والجماعة، وإذا خرج عن السنة وأهلها فعمله مردود غير مقبول، فلقد خلق الله – تعالى – النفس الإنسانية، ومنحها حق الحياة، وركب فيها أوصافاً عديدة، وصفات كثيرة فهي تفرح وتحزن، وتُساء وتُسر، وتضيق وتنشرح،

وتعمل وتكتسب، كما أن الله – تعالى – خلقها محدودة القدرة، ومحصورة التحمل، ولكل نفس مداها في العمل، ولم يشاء الله – تعالى – أن يُعذب النفس أو يرهقها أو ينهكها أو يُذلَّها، بل من فيض كرمه، وجميل عطائه وفضله، طالبها بما تحتمله، وألزمها بما تقدر عليه، ولم يفرض عليها أمراً فوق وسعها وطاقتها أو تكليفاً من شأنه أن يثقل عليها، يقول الله – تعالى –: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال –جل ثناؤه–: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وعلى كل فإن النفس الإنسانية، قد قرر الإسلام لها حقوقاً كثيرة تتمثل في العناية بها، وعدم الاعتداء عليها[١٦٩]، ويأخذ الاعتداء على النفس أشكالاً متعددة وصوراً مختلفة، ومن ذلك تحميل النفس فوق طاقتها، وإلزامها ما ليس يلازم عليها، فالإسلام لم يهدف في شيء من تشريعاته إلى المشقة على الناس، وإعناتهم بل جعل الواجبات في حدود طاقة النفس وقدرتها، موازناً بين حقوق الروح والجسد والحقوق الأخرى، ولنا أسوة حسنة في المصطفى – عليه الصلاة والسلام – الذي كان بعيداً عن الأثقال والمشقة، ملتزماً جانب الوسطية والاعتدال، فالإسلام يدعو إلى ابتغاء الدار الآخرة باستيفاء النفس حظوظها من الحياة الدنيا في حدود ما أباحه الله – تعالى – وأذن به، وعدم إهمال مطالب النفس والجسد من لذات الحياة الدنيا المباحة، فالشريعة الإسلامية شريعة الفطرة جاءت موافقة لطبيعة النفس الإنسانية، ومما فطرت عليه محبتها لليسر والرفق، والتخفيف والسماحة، ونفورها من الشدة والإعنات، فهي لا تحتمله، ولا تصبر عليه، ولو تحمل ذلك بعض الناس لم يصبر عليه عامتهم، والشريعة خاطبت الناس كلهم، وللسماحة أثر بالغ في شيوع الإسلام وانتشاره، وتقبل الأمم والشعوب لأحكامه[١٧٠] أما المغالي والمتنطع فهو يقف في الطرف وحيداً بعيداً عن التوسط في سلوكه ومعاملاته، لا تحتمله النفوس، ولا تطيقه، ولا تصبر عليه، لأنه صرف نفسه إلى ما لم تكلف به، وضيق عليها، وبدد جهده فيما لا طائل تحته، ولا فائدة منه، ولذلك نرى المغالين الخارجين عن الجماعة يلفظهم الواقع، وتنفر منهم النفوس لجفائهم وغلظتهم ومشقتهم على أنفسهم وإثقالهم على غيرهم، وتقصيرهم في الإيفاء بحقوقهم، وحقوق الآخرين، فهم أضيق الناس صدراً وأشدهم قلقاً، وأكثرهم اضطراباً، وأسرعهم غضباً وفوراناً، بل ربما لجؤو إلى العنف لحمل الآخرين على تقبل آرائهم، واستخدام القوة لإجبار غيرهم على التسليم بمعتقداتهم وأفكارهم، فالتشديد على النفس في الجانب التعبدي، والتضيق عليها في أمور الدنيا بحجة القربة والطاعة، ليس من منهج الإسلام الذي ينشد التوسط والاعتدال واليسر والسماحة[١٧١].

المطلب التاسع: الضيق والخلل النفسي:

إن من أخطر الأسباب وأنكاها في انتشار فكر التطرف والخروج عن الجماعة، الانحراف الفكري وهو ميلان الفكر وخروجه عن مألوف السلوك وسوي التفكير، أو هو مخالفة قواعد السلوك في المجتمع، وانحراف عن مساره، والخروج عن الطريق السوي، وقد يطلق عليه علماء النفس الانحراف السلوكي، وآخرون أسموه الانحراف العقدي، وإن المتأمل في مسيرة الأمة

الإسلامية عبر تاريخها الطويل يجد أن هناك أنواعاً من الانحرافات الخطيرة التي مُنيت بها هذه الأمة، غير أن الانحراف الفكري هو الخلاصة المرة التي آل إليها الانحراف التاريخي برمته، وأن ما أصاب الأمة من أرزاء هو إفراز الانحرافات السلوكية المتفشية بين ظهرانيها، فعند تجاوز الانحراف مرحلة السلوك ويبلغ ذروته في المفاهيم الرئيسية لهذا الدين القويم، عندها تعيش الأمة الإسلامية في كربة شديدة وحالة من الغربة التي أخبر عنها الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)(١٧٢) لذا فإن قضية الانحراف السلوكي التي تؤدي إلى عدم التوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال قضية من أهم القضايا التي ينبغي العناية بها، لا سيما في أوقات العنف إذا بها تتفاوت مراتب الخلق في إصابة الحق، ولا يمكن الوصول إلى إصابة الحق إلا بالسلوك السوي والفكر السليم، ولذلك اختص الله – تعالى – سليمان – عليه الصلاة والسلام – بالفهم مع ثنائه عليه وعلى داود بالعلم والحكم يقول الله – تعالى –: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وبذلك تظهر أهمية التوافق النفسي حيث إنه هو إحساس الفرد بالرضا الذاتي نحو عمله وسلوكه المرغوب في المجتمع الذي يعيش فيه، فيعيش الفرد وفق معايير الجماعة ومُثلها واتجاهاتها وقيمها الاجتماعية، فلذا فإن الدوافع النفسية إذا طالت تؤدي إلى آثار سلبية على شخصية الفرد وسلوكه النفسي والاجتماعي، بل قد تكون سبباً في انحرافه الفكري، وخروجه عن جماعة المسلمين، واتصافه بالعنف، فإذا كان الإرهاب شكلاً من أشكال العنف فإن العنف في هذا السياق أكثر شمولية من لفظ الإرهاب، باعتباره شكلاً من أشكاله حيث ينمو نتيجة اختلال التوازن بين شقي الخير والشر، وبفعل طغيان أحدهما على الآخر، مما يعني أن يتجه المرء إلى ما تنزع إليه نفسه، فإما نزعة متزمتة بحتة بالانقطاع التام للعبادة، وإما أخرى سلبية متطرفة(١٧٣)، وكلاهما يتعارض مع مبدأ الوسطية باتجاه أحادي، فالنزوع إلى الانطواء والبعد عن الناس والانزواء بالتبتل والتشدد والمغالاة في أمور الدين والنواحي العقدية والقعود عن كسب العيش وعدم المشاركة في إعمار الأرض وازدهار الحياة وبناء الأوطان بتجاهله مطالب الجسد أمر يُنافي السجية البشرية، وفي الاتجاه الآخر النزوع إلى الشر والقتل والسلب والاعتداء على الآمنين والبعد عن روحانيات الحياة متجاهلاً فضائل العبادة وتفريغ النفس من معاني الخير لهو الآخر يتعارض مع الفطرة السوية للبشر، وهذا ما وضحه الرسول – عليه الصلاة والسلام – مع الدين أرادوا الانقطاع للعبادة وعدم ممارسة ما أباح الشرع، عندما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي – عليه الصلاة والسلام – يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا، قالوا: أين نحن من النبي – صلى الله عليه وسلم – قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم أنا أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)(١٧٤) إذاً الأصل في نفسية الإنسان الاعتدال الوسطي بين الماديات والروحانيات لينشد حياة الاستقرار ليس له فحسب،

وإنما لجماعة المسلمين ويعني هذا أن الإنسان الشرير ينزل إلى منزلة الحيوانات في العدوانية، ويتساوى معها في طريق الشر[١٧٥]، لأن الحيوان يفتقد إلى العقل الذي يتميز به الإنسان، فإن فقده فإنه يتساوى معه، وتصبح العدوانية حلقة ربط بينهما وصفة واحدة للشر، حيث إن شخصية الخارج عن الجماعة شخصية عدوانية سريعة التأثر بالمؤثرات الخارجية، تميل إلى الاعتداء بعشوائية، كما أنها مضطربة، وفيها من العنف والفساد والمراهنة والعناد على تحقيق أهدافها دون أن تقيم حساباً للخسارة، حتى لو أدى بها إلى التضحية بالحياة في سبيل الوصول إلى ما تعتنقه من معتقدات باطلة، وهذا ما نلاحظه من النتائج المفجعة التي تخلفها الخروج عن الجماعة والقيام بأعمال إرهابية تظهر فيها مدى الفظاظة والقسوة التي تنم عن نفس عدوانية لا تعرف للرحمة طريقا أو العاطفة أسلوباً، ولعل من أبرز الأمثلة على الدوافع النفسية المضطربة القلقة ما قامت به جماعة إرهابية من استخدام غاز السارين (وهو ثاني أشد غازات الحرب الكيمائية) في هجومها على (مترو) الأنفاق في خمس عشرة محطة تحت العاصمة اليابانية طوكيو، حيث تسبب ذلك في سقوط الكثير من القتلى والجرحى، وكان الاعتقاد حينئذ أن بعض أعضاء هذه المنظمة ورئيسها يعانون من الأمراض النفسية والعقلية[١٧٦] فالغالي الخارج عن الجماعة لا يشعر بروح التعلق بالمجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية، وهذه الروح ضرورية للفرد للعيش في الحياة الاجتماعية ولدوامها، أما ضرورتها لحياة الفرد في المجتمع فهي أن الفرد لا يمكن أن ينجح في حياته في المجتمع إذا عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن أن تنجح حياته أيضاً إذا عاش منفرداً فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة مما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية، ومن أهم فوائد الاجتماع بالآخرين أن يجرب الإنسان نفسه وأخلاقه وصفات باطنة، وذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإن كل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها، وهذا مهم لتنشئة حياة اجتماعية سوية عن طريق التربية إذ إن الانحرافات والمخالفات ترجع إلى عدم نشأة الإنسان نشأة سوية، ولهذا كله فقد أهتم الإسلام بالتعلق بالمجتمع أو الجماعة اهتماماً بالغاً وبين علاقة الفرد بها حتى شبه المجتمع بالجسم الواحد، وبناء على ذلك دعا إلى التعلق بالجماعة، يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[١٧٧] وقرر عقوبات شديدة وزواجر على جريمة الفتنة وتفريق الأمة، إذ عد الإسلام الفتنة أشد من القتل يقول الله – تعالى –: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ذلك أن الفتنة تؤدي إلى إراقة الدماء وتفريق الأمة من الجرائم الكبيرة في قانون العقوبات، لأن ذلك مخالف لأمر الله – تعالى – بالاتحاد والاعتصام بحبله المتين: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ومخالف لأمره باتباع الطريق المستقيم وتجنب سبيل التفرقة، يقول الله – تعالى –: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] كما حذر من إثارة الفتنة بعقاب شديد في الدنيا وهو القتل، وجاءت نصوص بقتل من سعي لتفريق الأمة وتمزيقها بالفتن ومنها قول الرسول – عليه الصلاة والسلام–: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)[١٧٨] وقوله: (ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فأضربوه بالسيف كائناً من كان)[١٧٩] فالمفارق للجماعة يشعر بضيق وحرج لتفرده بأمور يخالفه فيها غيره فعندها يقوم بكل تلك الأمور المناوئة للدين الإسلامي.

المطلب العاشر: البعد عن الله عز وجل:

الأصل أن الدين الإسلامي واحد، وقد تركنا الرسول – عليه الصلاة والسلام – على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن أقواماً سلكوا سبل الأمم السابقة فتفرقوا في دينهم وخرجوا عن الجماعة، وصاروا شيعاً، فغلوا في أمور الدين الإسلامي، وابتعدوا عن السنة النبوية، إذ دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، فأهل السنة والجماعة يتميزون بالوسطية والاعتدال، أما الفرق المخالفة فتميزت بالإفراط أو التفريط، بالغلو أو التقصير، وبالتباين والتناقض فيما بينها، فلذلك نجد أصول الفرق متعاكسة تماماً، فالتكفير يقابله الإرجاء، والتشيع يقابله النصب، والقدر يقابله الجبر، والتعطيل يقابله التشبيه، والتأويل يقابله التفويض، والتصوف يقابله الجفاء، والابتداع يقابله الإعراض عن الشرع، حيث إن من أبين الفوارق بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدعة والفرقة حقيقة الاسم والانتساب، فأهل السنة ينتمون للسنة والجماعة، وأهل الأهواء والبدع كل طائفة منهم تنتسب إما إلى شخص من أهل البدع ورؤس الضلالة كالجهمية، أو إلى شخص خالف السنة في بعض الأصول كالكلابية، والأشعرية، والماتريدية، وإما إلى أصل من أصول الضلالة كالقدرية والجبرية والمرجئة، فالغلاة والخارجون عن الجماعة لا يحصرون الاستدلال على الدليل الشرعي في العقيدة الإسلامية – وهي توقيفيه–، فأنهم يستدلون بالعقليات والأوهام والظنون[١٨٠] والذوق[١٨١] وإيحاء الشياطين، وأراء الرجال، والفلسفات، والرويات الضعيفة، وما لا أصل له، وغير ذلك من المصادر المحرفة فكل فرقة من الفرق الضالة تؤصل أقوالها وقواعدها بطريقتها الخاصة وأهوائها الفاسدة[١٨٢]، فيصبح الخارج عن الجماعة متبعاً لأصول بدعية لا سنية، يقول شيخ الإسلام –يرحمه الله –: (والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان به، فلما حدث في الأمة من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً، صار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان به، لكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به،وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتها ولا يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، وليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل

أن يدفع منازعه الاحتجاج بها)[١٨٣] فالخروج عن السنة سمة من سمات الغلاة وأهل الأهواء، فالغالي يخلط بين السنة والبدعة وبين النصوص الشرعية والاعتقادات البدعية، حيث يصل إلى تحقيق بدعته وأصله، يقول ابن القيم – يرحمه الله-: (إن يقصد حل ما حرمه الشارع أو سقوط ما أوجبه، بأن يأتي بسبب نصبه الشارع سبباً إلى أمر مباح مقصود، فيجعله المخادع سبباً إلى أمر غير مقصود اجتنابه كما أخرجت الجهمية التعطيل في قالب التنزيه، وأخرج الروافض الإلحاد والكفر، والقدح في سادات الصحابة وحرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأوليائه وأنصاره في قالب محبة أهل البيت والتعصب لهم وموالاتهم، وأخرجت الأباضية وفسقه المنتسبين إلى الفقر والتصوف بدعهم وشطحهم في قالب الفقر والزهد والأحوال والمعارف في محبة الله ونحو ذلك، وأخرجت الاتحادية أعَظم الكفر والالحاد في قالب التوحيد، وأن الوجود واحد لا أثنان وهو الله وحده، فليس ههنا وجودان خالق ومخلوق، ولا رب وعبد، بل الوجود واحد وهو حقيقة الرب، وأخرجت القدرية إنكار عموم قدرة الله – تعالى – على جميع الموجودات: أفعالها وأعيانها في قالب العدل، وقالوا: لو كان الرب قادراً على أفعال عباده لزم أن يكون ظالماً فأخرجوا تكذيبهم بالقدر في قالب العدل، وأخرجت الجهمية جحدهم لصفات كماله – سبحانه – في قالب التوحيد وقالوا: لو كان له سبحانه سمع وبصر، وقدرة، وحياة، وإرادة وكلام يقوم به، لم يكن واحداً، وكان آلهة متعددة، وأخرجت الفسقة والذين يتبعون الشهوات، الفسوق والعصيان في قالب الرجاء وحسن الظن بالله – تعالى -، وعدم إساءة الظن بعفوه، وقالوا: تجنب المعاصي والشهوات ازدراء بعفو الله – تعالى – وإساءة ظن به، ونسبته إلى خلاف الجود والكرم والعفو، وأخرجت الخوارج قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع...فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق، والمقصود أن أهل المنكر والحيل المحرمة يخرجون الباطل في القوالب الشرعية[١٨٤] ويتضح بذلك أن الخارجين عن جماعة أهل السنة والجماعة يبتعدون عن الله – تعالى – وذلك لاتباعهم الأهواء والشبهات والبعد عن الوحي.

المطلب الحادي عشر: عدم التيسير من الله تعالى:

إن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله – تعالى – التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطى عبدُ عطاء بعد الإسلام، أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسُنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد[١٨٥]، لذا فإن الغالي إذا تأصل فيه الغلو والتطرف وخرج عن الجماعة الإسلامية فإنه لا يستطيع الرجوع، بل يخرج من أمر إلى ما هو أشد منه ولا يهتدي للحق ولا يوفق للتوبة إلا نادراً،

والنادر لا حكم له، يقول الله – تعالى –: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الأنعام: ١١٠]ويقول الرسول –عليه الصلاة والسلام–:(يمرقون من الدين ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه) [١٨٦] فالحديث يوضح أن صاحب البدعة قد يصعب عليه التخلص من بدعته، فإن خرج منها، فإنه يخرج إلى ما هو شر منها، ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه)[١٨٧] ويقول (إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة) [١٨٨] فالخارجون الغلاة عندما يأتون ببدعة يقعون في بدعة أخرى، فالخوارج عندما خرجوا على علي بن ابي طالب – رضي الله عنه – والأئمة قالوا: بقاعدة: (لا حكم إلا لله) فاعتقدوا أن علياً لم يحكم حكم الله – تعالى – وحكَّم الرجال، وبناء على هذه القاعدة ألزموا أنفسهم ببدع أخرى منها القول بتكفير علي – رضي الله عنه – لأنه حكم الرجال ولم يحكم حكم الله، وأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر في الآخرة، حلال الدم في الدنيا، ومن ثم وجوب خلعه وعدم طاعته، بل وتجرأ الأمر بهم إلى وجوب قتله، وكفروا كل من وافق على التحكيم بينه وبين معاوية – رضي الله عنهما – فصرحوا بكفر معاوية أيضاً، وكفروا أبا موسى الأشعري وعمرو ابن العاص، وكل من وافق على هذا التحكيم، فوصل التكفير إلى الصحابة – رضي الله عنهم – الذين هم خيرة خلق الله بعد الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – وبعد أن كفروا الصحابة استحلوا أموالهم ونساءهم وقتالهم،ففرقوا الأمة بأفعالهم وبدعهم، وألبوا الناس على عدم طاعة الخليفة، وكل هذه البدع في غاية الفساد، وهذا نفسه ما يقوم به الغلاة والمتطرفون الذين يخرجون عن الجماعة الإسلامية، حيث يأتون بقاعدة معينة، ومن ثم يلزمون أنفسهم بقواعد وبدع أخرى أشد وأنكى، فما تراه من الحرائق والسطو على المحلات والهجوم على الأسواق والمنشئات الصناعية والتجارية إلا من باب الاستدراج في الغلو والإصرار على البدع، يقول علي –رضي الله عنه –: (ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه)[١٨٩] ويقول أيضاً (الهوى يصد عن الحق)[١٩٠] والمتأمل لحال أهل الأهواء والبدع يرى أنهم وإن غيروا عقائدهم أو أحدثوا فيها قولاً أو قرروا ما لم يكن عليه السلف الصالح، فإنهم لا يهتدون للرجوع للسنة، بل يتقلبون في البدعة،فالخوارج عندما توسعوا في الخوض في تفاصيل العقيدة تحولوا إلى معتزلة، والرافضة كانوا محسمة ثم مالوا إلى الاعتزال، والجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة، كلما أسسوا أصولاً انحرفوا عن السنة أكثر أو تحولوا إلى بدعة أخرى، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله –: (ولهذا قال بعض السلف ومنهم الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما ورد عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجز التوبة على كل صاحب بدعة، بمعنى أنه لا يتوب منها، لأنه يحسب أنه على هدى)[١٩١] فالغالي عندما يصاب بالغلو ينحرف عن طريق أهل السنة والجماعة فيتبع هواه، وبالتالي يتمكن الشيطان منه فيوكله إلى نفسه، يقول الشاطبي – يرحمه الله –: (فأعلموا أن البدعة لا يُقبل منها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجالس صاحبها تُنزع منه العصمة ويوكل إلى نفسه والماشي إليه وموقره معين على

هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً، وهي مظنة إلقاء العدواة والبغضاء ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنة التي تقابلها وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة وتُلقى عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويخاف عليه أن يكون معدوداً في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة فيعذب بعذاب جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتبرأ منه المسلمون، ويُخاف عليه الفتنة زيادة إلى عذاب النار)[١٩٢] وهذا ما وضحه الرسول – عليه الصلاة والسلام – بقوله: (وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة) وفي رواية (فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد)[١٩٣] وقال: (فإن من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[١٩٤] ويكون بذلك من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، وعندها يكون متبعاً غير سبيل المؤمنين، يقول الله – تعالى –: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] أي يتركه وما أختاره لنفسه ونخذله فلا توقفه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلالة حائراً، ويزداد ضلالة إلى ضلالة[١٩٥] وهذا ما نص عليه الرسول –عليه الصلاة والسلام – بقوله: (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفي رواية (وكل ضلالة في النار)[١٩٦]يقول الحافظ ابن رجب – يرحمه الله – فقوله: – صلى الله عليه وسلم – (وكل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم ولا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين برئ منه، وسواءً في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة)[١٩٧] ويقول ابن القيم – يرحمه الله – : (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان أما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدي بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له،هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه عن الحد)[١٩٨] وبذلك يتضح مدى بعد المبتدع عن الله – تعالى – لعدم تيسير الله له في القرب منه، لأن الجزاء من جنس العمل، فإذا كان العبد صالحاً يسر الله –تعالى– له الحسنات والخيرات، وإذا كان سيئاً فيجازيه بالمثل يقول الله – تعالى – : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] وقال : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

المطلب الثاني عشر: تضييع الحقوق:

إن الناظر في الساحة الإسلامية يجد أن أفكار الخوارج وما تحمله من مبادئ لم تنته بنهاية الخوارج الذين ظهروا في تلك الفترة من تاريخ الإسلام، وهذا تحقيقاً لقوله – صلى الله عليه وسلم – : (إنهم لا يزالون يخرجون حتى يخرج في أعراضهم

الدجال)[١٩٩] وفي هذه إشارة إلى استمرار هذا الفكر، فما زالت أفكار الخوارج وتكفير العصاة من المسلمين تنتقل بين بعض الجماعات والأحزاب الإسلامية المعاصرة، والتي ترى من يخالفها في الآراء والأفكار المتطرفة خارجاً عن الإسلام، فيحكمون بكفره واستحلال دمه، وهذا عين ما كان عليه الخوارج المارقون، ومن أشهر الجماعات التي تبنت منهج الخوارج وأسلوبهم واعتنقت كثير من أفكاهم ومبادئهم (جماعة التكفير والهجرة) والتي تسمي نفسها (جماعة المسلمين) وقد لاحظ معظم من كتبوا عنها الارتباط الوثيق بين أفرادها وبين الخوارج[٢٠٠] فهذه الجماعة تتبنى مسألة التكفير الخاطئ وتفسيره بما يُعرف (بالحد الأدنى في الإسلام) وهذه القضية تمثل العامود الأساس لمنهج التكفير ، فهي بداية المنهج وأساسه، إذ تُبنى عليها بقية القضايا وتتفرع عنها، فيقولون: (فمفهوم الإسلام – عندنا – أن الله – سبحانه وتعالى– أوجب علينا عبادته، فقال – عز وجل –: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وجعل الله رسالة الرسل كلهم: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] والعبادة هي الخضوع والإيمان والتسليم لله – تعالى – فعبادة الله – سبحانه وتعالى – هي التسليم لله جملة، ولن يكون التسليم إلا إذا جعل المرء المسلم ما فرضه الله عليه فرضاً، وما حرمه عليه محرماً، ولذلك فالإسلام ليس كلمة (لا إله إلا الله) فحسب كما أنه ليس بالفرائض فقط وإنما الإسلام بنية واضحة وضوحاً قطعياً، فالحد الأدنى للإسلام، والذي لا يكون إسلام بغيره – أن من انتقض شيئاً منه فقد وقع في الكفر،وهذا الحد هو جملة ما افترضه الله علينا، فإذا لم يؤدي الإنسان تلك الفرائض التي جاء بها الإسلام، ويترك النواهي فلا يكون مسلماً لأنه لم يكتمل العمل الذي هو شرط الإيمان) [٢٠١] وهذا ما تقول به الخوارج في الإيمان أنه شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، إذ أن الشهادتين غير كافيتين للحكم بالإسلام في زعمهم[٢٠٢] ثم يقولون: إن المعاصي كلها شرك وكفر، ولا بد من المبادرة منها بالعودة إلى الإسلام فمن عصى في شيء ولم يتب فهو كافر حلال الدم والمال أياً كانت معصيته تلك[٢٠٣] ثم يزعمون أنه لا تفرقة بين الكفر الأكبر والأصغر حيث يقولون: (لم يحدث أن فرقت الشريعة بين الكفر العملي والكفر القلبي، ولا أن جاء نص واحد يدل أو يشير إلى أدنى إشارة على أن الذين كفروا بسلوكهم غير الذين كفروا بقلوبهم، واعتقادهم، بل أن كل النصوص تدل على أن عصيان الله عملاً والكفر به سلوكاً وواقعاً هو بمفرده يسبب العذاب والخلود في النار والحرمان من الجنة – نعوذ بالله من ذلك – بل أكثر من ذلك، فإن العقل والواقع والشرع كل هؤلاء لا يفرق من حيث النتيجة الحقيقية بين من جحد حقاً لإحد من الناس بلسانه، وبين من أمر به ثم اشتركا جميعاً في منعه وجحده بالسلوك والجارحة، بل لعل المقر بلسانه الجاحد بسلوكه أكبر جرماً عند الناس وأغيظ لهم من الآخر[٢٠٤] فقد أهدروا النصوص الظاهرة على التفرقة بين الكفر الأكبر والأصغر، وما فهمه أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – وعلماء الأمة من بعده، أهدروا ذلك كله بقياس عقلي فاسد[٢٠٥] فكفروا تكفيراً عاماً (تكفير المجتمع) وذلك لقولهم: (إن حكام المسلمين كفروا، لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله، والمحكومين كفروا لأنهم رضوا

بأولئك الحكام[٢٠٦] وهذا المعتقد نابع من أصول الخوارج إذ من المعروف أن الخوارج يعتبرون أن من خالفهم في عقيدتهم ومبادئهم فهو كافر، يقول الشوكاني – يرحمه الله – عنهم: (ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله)[٢٠٧] فكفروا المخالفين لهم من المسلمين، وكفروا المعين، وكل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقاً دون تفصيل، والمجتمعات المسلمة وحكموا عليها بأنها مجتمعات جاهلية، وكفروا من لم يكفر الكافر عندهم مطلقاً، ومن خرج عن جماعتهم ممن كان منهم، أو من يخالف بعض أصولهم.[٢٠٨] وبذلك ضيعوا حق الله – تعالى – وحق رسوله –عليه الصلاة والسلام– وحق الصحابة – رضي الله عنهم – وحق ولي الأمر، بل وحتى الأمة بأكملها، فأما تفريطهم في حق الله – تعالى – فيتمثل في تضييع أحكامه – سبحانه وتعالى – وعدم تطبيق تحكيم الأحكام الشرعية، فأعطوا لأنفسهم حقاً في التكفير والتفسيق والتبديع والتضليل، فأطلقوا على الأشخاص الأسماء والأحكام[٢٠٩] مع أنها حق من حقوق الله – تعالى – فاشتطوا في ذلك بان جعلوا المسلم كافراً مخلداً في النار لا يخرج منها أبداً، مع أن هذه الأمور جميعها لا يعلمها ولا يحكم فيها إلا الله – عز وجل– وغلوا وردوا أحكاماً جاءت في القرآن الكريم فنفوا رؤية الله في الآخرة، وقالوا بخلق القرآن، واختلفوا في مسائل القضاء والقدر إلى ثلاث فرق: مؤيدة للقدرية، ومؤدية للجبرية، وموافقة لمذهب أهل السنة والجماعة، وأنكروا وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة، وأنكروا عذاب القبر[٢١٠] والشفاعة[٢١١] والميزان، والصفات الثابتة له، وأنكروا الصراط[٢١٢] ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بتحريف القرآن على حسب أهوائهم، وقصر الصلاة على ركعة واحدة في الصباح وواحدة في المساء عند بعضهم[٢١٣] وبعضهم زاد فأنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن لاشتمالها على حد زعمهم من ذكر العشق والحب والشغف[٢١٤] والقرآن ليس محله ذلك، فهنا غلوا وتجاوزوا الحد المشروع، ومع ذلك فرطوا في حق الله – تعالى – وفي حق القرآن الكريم فلم يتدبروا الأوامر والنواهي والمستحبات والمكروهات ولا غرو في ذلك فقد أخبر الصادق المصدوق – عليه الصلاة والسلام – عنهم بقوله: (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[٢١٥] وأما غلوهم في الرسول – عليه الصلاة والسلام – فقد ردوا السنة المحمدية التي لا توافق القرآن الكريم وبذلك خالفوا قوله – عليه الصلاة والسلام – وسنته، وزعم بعضهم زعماً باطلاً بأن الله – سيرسل – رسولاً من العجم ينسخ شريعة محمد – عليه الصلاة والسلام – [٢١٦] ويأتي بدين الصابئين وبقرآن غير هذا القرآن، فأي إهانة أكبر من ذلك برسول الله – عليه الصلاة والسلام – ؟ الذي يصرح صراحة لا يدنو منها أدنى شك بأنه آخر الرسل، ويأتي هؤلاء ويردون قوله – عليه الصلاة والسلام – وينسخوا شريعته وقرآنه وعقيدته؟ مع زعمهم بتحكيم أوامر الله– عز وجل – فأين هذا التحكيم المزعوم؟ وآذوا رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في صحابته الكرام الذين حث أمته على محبتهم ورفع شأنهم فقال: (لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد[٢١٧] أحدهم ولا نصيفه)[٢١٨] فجاء هؤلاء فكفروهم ولم يبلغ الحد عند الصحابة – رضي الله عنهم – وإنما كفروا علياً

– رضي الله عنه – ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن آل بيته والمقربين إليه، وأول الصبيان إسلاماً، ثم قاموا بقتله زاعمين التقرب بذلك لله – سبحانه وتعالى – وتجرأ الأمر بهم إلى القول بعدم وجوب الإمامة(٢١٩) وإلى جواز كون الإمام من غير قريش، وفي ذلك رد صريح لقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (الأئمة من قريش)(٢٢٠) وأما غلوهم وإفراطهم في هذا الجانب فيتمثل في طاعة شيوخهم ورجالهم الذين يخترعون البدع والضلالات مع أن الواجب عليهم الأقتداء بالصحابة – رضي الله عنهم – لا بأصحاب البدع وأما غلوهم في حق ولي الأمر: فقد خالفوا الإمام وخرجوا عليه وكفروه وحاربوه وأدخلوا الأمة في حرب لا أساس لها من الصحة، وقُتل فيها من قُتل من أفاضل البشر حتى انتهى الأمر بهم بقتل الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، ولم يكتفوا بذلك بل استمر معهم الجحود والنكران والخروج على الخلفاء والأئمة حتى في عهد الدولة الأموية والعباسية فلم يسلم منهم أحد، وما زالوا إلى الآن ينظرون إلى الأمة نظرة احتقار وازدراء،وأنهم هم أهل الحق والإيمان، وأما غيرهم من الناس والحكام فهم كفرة يستحقون الخروج عليهم، وهذا ما حصل مع بعض الشباب الذين ينتسبون للإسلام قولاً لا عملاً كجماعة التكفير والهجرة، وجماعة الكهف(٢٢١)، وأما غلوهم في الأمة فإن المدقق في فرقة الخوارج في هذه المسألة يجدهم قد بالغوا مبالغة مقيتة في موقفهم من عامة المسلمين حيث إنهم يجتمعون على أن مخالفهم يستحق السيف والقتل، فضيعوا حق الله – تعالى– وحق رسوله –عليه الصلاة والسلام– وحق الصحابة –رضي الله عنهم– وحق ولاة الأمر، وحق الأمة بأكملها مع تضيعهم لحق أنفسهم حيث إنهم لم يعدلوا حتى مع أنفسهم، وهذا ما يفعله الخارجون عن جماعة أهل السنة والجماعة في الوقت الحاضر.

المطلب الثالث عشر: قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان

حرم الإسلام قتل النفس وسفك الدم المعصوم، وجعل ذلك من كبائر الذنوب، يقول الله – تعالى –: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣] وفي هذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها، والقتل ظلماً من أكبر الكبائر بعد الكفر وموجب لاستحقاق العقوبة في الدنيا والآخرة(٢٢٢) يقول الله – تعالى –: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢] وقدم القتل على الإحياء ترهيباً وزجراً لهم، وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وجعل من صفات المؤمن عدم القتل يقول الله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] يقول القرطبي – يرحمه الله–: (دلت هذه الآية على أنه ليس

بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنا)[٢٢٣]ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله : ماهي؟ قال : (الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق...)[٢٢٤] ويقول : (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)[٢٢٥] ويقول ابن عمر – رضي الله عنهما – (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله)[٢٢٦]، ولو اشترك أهل السماء والأرض في قتل رجل واحد لكان ذلك موجباً لدخولهم النار جميعاً، يقول الرسول –عليه الصلاة والسلام–: (لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)[٢٢٧] فقتل النفس من الجرم العظيم، والفعل القبيح، وهؤلاء الخارجون عن الجماعة الإسلامية، يقومون بتفجير أنفسهم بحزام ناسف، أو بسيارة مفخخة في سوق، أو مكان عام مزدحم، أو مجمع سكني، أو أمام مصلحة أو دائرة عامة لحصد أكبر قدر من الأرواح، وإحداث أكبر قدر من التدمير، بل ويفجر كثير منهم نفسه حين يرى أنه مقبوض عليه، ومعلوم لكل مسلم أن قتل النفس محرم بالشريعة الإسلامية، وهو أعظم من قتل الغير يقول الله – تعالى – : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) [النساء:٢٩] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام–: (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً)[٢٢٨] والعلماء مجمعون على حرمة قتل الإنسان نفسه بحزام ناسف أو سيارة مفخخة ونحوها في أوساط مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أو ذميين مما يفعله الإرهابيون اليوم في مجتمعات المسلمين، أما ما هو محل اختلاف بين العلماء فهو ما يسمى بالعمليات الاستشهادية التي يقتل فيها المجاهد نفسه بأحزمة ناسفة يربط بها نفسه أو في السيارة أو الدراجة التي يقتحم بها مواقع العدو في جهاد مشروع بين مسلمين وكفار، فهو حين فعل ذلك كان يهدف إلى النكاية في عدو مستعلن بالعداوة مخالف في الديانة، وقتل النفس جاء اضطراراً لا اختياراً، وبذلك يتضح أن موقف الخارجين عن جماعة أهل السنة والجماعة موقفاً مبالغاً فيه حيث إنهم بالغوا في موقفهم من عامة المسلمين فهم يجمعون على أن مخالفهم يستحق السيف والقتل، ولم يسلم منهم حتى أطفال المسلمين مع زعمهم بتحكيم أوامر الله – عز وجل –، والصحيح أن الشرع قد منع من قتل الأطفال والنساء سواء كانوا من المسلمين أو من المشركين، إلا أن يكون ذلك في بيات لا يتميز فيه الأطفال والنساء، فلا بأس في قتلهم إذا وقع من دون عمد[٢٢٩]، فهم في الحقيقة يقومون بما أخبر به عليه أفضل الصلاة والتسليم من قتل المسلمين وترك الكفار حيث قال –عليه الصلاة والسلام–: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)[٢٣٠] ووضح شيخ الإسلام – يرحمه الله – موقف الخوارج من الأمة فيقول : (إنهم يكفرون بالذنب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وإن دار الإسلام دار كفر، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة وجمهور المعتزلة والجهمية)[٢٣١]ومن هنا ظهرت بدعة تقسيم الدور، فهم بعد اعتقادهم واستحقاقهم السيف أصبح من أصولهم المميزة لهم: أن كل كبيرة كفر، وأن الدار دار

كفر يعنون دار مخالفهم، وأن مرتكب الكبيرة يخلد في النار أبداً، وأن من أقام في دار الكفر فكافر لا يسعه الخروج، يقول نافع بن الأزرق: (إن المسلم لا يحق له أن يقيم في ديار المخالفين وإن أقام فهو كافر حلال الدم والمال)[٢٣٢] فهم بغلوهم كفروا الأمة بأكملها لاعتقادهم بأنهم مخالفين لهم، ولكونهم لا يسلم أحد منهم من القيام بالذنوب والمعاصي، وصاحب المعصية عندهم كافر، فنفوا العلاقة بين المسلمين والألفة التي أوجبها الله – تعالى – عليهم مع أنه – سبحانه وتعالى – قد أثبتها حتى في حالة القتل، يقول الله – تعالى –: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] وهي الأخوة الإيمانية، ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)[٢٣٣] فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار، وقد بوب البخاري – يرحمه الله – لهذا الحديث في كتاب الإيمان فدل ذلك على إيمان أو إسلام القاتل والمقتول بعكس ما يقوله الخوارج[٢٣٤] فهم متناقضون يكفرون المسلم بالذنب الواحد ويقومون بعشرات الذنوب من القتل والنهب والسرقة وهتك الأعراض والحرمات وأكل أموال اليتامى بعد قتل آبائهم وغير ذلك كثير، ويغمضون أعينهم ويختمون قلوبهم عن تدبر أحكام الله – تعالى – المشتملة على تحريم هذه الأمور ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام–: (من نهب نهبة[٢٣٥] ذات شرف[٢٣٦] يرفع المسلمون إليه أنظارهم فليس بمسلم)[٢٣٧] (ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[٢٣٨] فهم يستدلون بأمثال هذه الأدلة أدلة الوعيد[٢٣٩] على تكفير مرتكب الذنب من غيرهم دون أنفسهم وما هذا إلا عين التناقض، فهم قد غلوا في التشديد على أفراد الأمة الإسلامية، وأعطوا لأنفسهم الحق في ارتكاب جميع المعاصي والذنوب فجمعوا بين الإفراط والتفريط، ومع ذلك يحسنون للكفار ويعاملونهم معاملة حسنة، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى غلوهم وبعدهم عن الحق.

المطلب الرابع عشر: الهلاك:

إن التمسك بالجماعة الإسلامية سبب لكثرة الرخاء، وسعة في حصول الرزق، ونزول البركة وهطول الأمطار، ومصداق ذلك قول الله – تعالى – : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقوله – تعالى – : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦] وبضدها تتميز الأشياء، فقلة الخير، وذهاب الرزق، وذهاب البركة، وقلة الأمطار، وكثرة الأزمات والقلاقل، وشدة المؤونة، في البلاد الحائدة عن الحق المنحرفة في العتو والطغيان، المتتبعة للأهواء، المعرضة عن أحكام الله – تعالى – القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦] فالتمسك بالسنة والجماعة يمكن المجتمع من ضبطه فيما يتصل بالأمن العام، وحماية

ممتلكات الناس وحرياتهم، دون أن تضطر في ذلك إلى أجهزة متضخمة للأمن على غرار ما هو قائم الآن في المجتمعات المعاصرة، وأن نظرة فاحصة تلقى على أجهزة الأمن في بلد من بلدان عالمنا المعاصر، سوف تكشف عن ضخامة هذا الأثر الذي يحققه التمسك بالسنة والجماعة في مجال الأمن والنظام العام في المجتمع، وما يحققه من تخفيض هذه الأجهزة إلى ما يجعلها شبه مؤسسات رمزية أغنى عن جلها نظام تطبيق التمسك بالسنة والجماعة، وتستطيع أن تتصور ما يعود على مجتمع أغناه تطبيق الكتاب والسنة عن هذه الحشود الحاشدة العلنية والمستورة، وهي لا تزيد فيما تؤديه عن كونها رقيباً لأفراد المجتمع ولو لم يتعرض لها بشكل مباشر، ولو اصطنع في آداء واجباتها كل ضمانات الأمانة وعدم إتهام الأبرياء، فإن أي مجتمع من المجتمعات يطبق منهج أهل السنة والجماعة، ويصبح جزءاً من كيانه ونظامه، وتضيق فيه مسالك الشر والرذيلة، لا بد أن تتفسح فيه مجالات الخير والفضيلة وينعم الناس بالحرية الشاملة بتحررون فيه من قيود الهوى في داخلهم، ومن عوامل الخوف التي تأتي من الخارج فيصرفون طاقاتهم نحو البناء والعمل المنتج[٢٤٠] حيث إن الهلاك له أسباب من عمل العباد تؤدي إلى إنزال العقوبات بهم ومن أهم تلك الأسباب مفارقة الجماعة والإخلال بها، وعندما يحصل الهلاك فقد تنال الأمة العقوبة وقد يكون ذلك بالإفناء وهو عقاب للأمة يدل على غضب الله عليها ونزول عذابه، لأن فناء الأمم لا يكون إلا بما تجره إلى نفسها من سوء فعلها، بخلاف فناء الأفراد فإنه نهاية محتمة ولو استقام المرء طول حياته،[٢٤١] ومما يدل على إن الهلاك يطلق ويراد به العذاب قول الله – تعالى – :﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ [طه: ١٣٤] وهذا الهلاك إنما هو سبب ذنوب الأمة ومعاصيها التي ظهرت وتفشت فيها، أو بسبب إعراضها عن دعوة الرسول الذي بُعث إليها يقول الله – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء:١٧] ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤] وبما أن الهلاك عقوبة فإنه لا يكون إلا بعد الإنذار وقيام الحجة على العاصين يقول الله –تعالى–: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا ﴾ [القصص: ٥٩] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام –: (لن يهلك الناس حتى يُعذروا في أنفسهم)[٢٤٢] وقد حذرنا الله - سبحانه وتعالى – في كتابه من الافتراق وحثنا على الجماعة[٢٤٣]، وكذلك السنة جاءت مبينة وموضحة لهذا الأمر، وأنه السبب في هلاك الأمم والقضاء عليها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٢٤٤] وفي ذلك إشارة إلى أنه من آثار غلو الأمم السابقة الهلاك، وأن هذه الأمة إن غلت صارت إلى مثل النتيجة التي صاروا إليها، فالرسول – عليه الصلاة والسلام – علل نهيه عن الغلو (بما يقتضي مجانبة هديهم أي هدي من كان قبلنا إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك)[٢٤٥] ويقول الرسول – عليه الصلاة والسلام - : (هلك المتنطعون، قالها: ثلاثاً)[٢٤٦] وهذا يمكن أن يحمل على أحد المحملين: الأول: الدعاء، ومن دعا عليه النبي – عليه الصلاة والسلام – بالهلاك فهي مصيبة عظيمة عليه، الثانية: الخبر فالنبي – عليه الصلاة والسلام – يبين مصير الغالي وعاقبته، والتكرار إنما هو لبيان عظيم الأمر، والمتنطعون هم: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[٢٤٧] وإنما كان الهلاك أثراً من آثار الغلو، لأن الغلو معصية لله – عز وجل – فهو تجاوز لحدوده، وإذا تجاوز المرء حدود ما أنزل الله بالنقص أو الزيادة كان بذلك معرضاً نفسه للعقوبة والهلاك في الدنيا والآخرة وما يفعله الخارجون عن جماعة أهل السنة والجماعة يقومون بذلك وزيادة فلذلك يلحقهم الهلاك.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وترفع الدرجات، وتجبر العثرات، وتمحى الزلات، وتضاعف الحسنات. وبعد:
فقد منَ الله – تعالى – عليَ باستكمال هذا البحث، وقد توصلت من خلاله إلى عدد من الأمور منها:–

١. إن الجماعة تعني الاجتماع وضدها الفرقة.
٢. من أسماء أهل السنة والجماعة: أهل الجماعة – السلفية – أهل الحديث – أهل الأثر – الفرقة الناجية – الطائفة المنصورة.
٣. أهل الأهواء والبدع ينبزون أهل السنة والجماعة بأسماء منها: المشبهة – النابتة – المجبرة – الناصبة – العامة – الجمهور – الحشوية – الغثاء – العثراء – زوامل أسفار.
٤. إن أهل السنة والجماعة هم: الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعون ومن تبعهم بإحسان على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
٥. الإخلال بالجماعة لا يتم إلا عن طريق الافتراق عن جماعة المسلمين.
٦. الضابط في الافتراق أنه يؤدي إلى الفتن والتفرق، والقتال، والبغي، والبدع.
٧. البدعة مقرونة بالفرقة، والسنة مقرونة بالجماعة,
٨. من خصائص أهل السنة والجماعة تقديم الشرع على العقل، رفض التأويل الكلامي، طلب العلم بالمطالب الإلهية، الدخول في الدين كله، الموالاة والمعاداة على رابطة الإسلام، القضاء على البدع والمحدثات، الإنصاف والعدل وغير ذلك كثير.
٩. إن الأمم السابقة تفرقت بهم الطرق فحذرنا الدين الإسلامي من مشابهتهم.
١٠. إن نصوص السنة الدالة على الاجتماع وعدم التفرق قد بلغت التواتر.
١١. الافتراق عن الجماعة من أخطر أنواع التبديل والإحداث في الدين.
١٢. الاختلاف لا يُراعى في المسائل التي عُلم فيها القول الصائب.
١٣. يعصم الله – تعالى – الأمة الإسلامية لتمسكها بالجماعة.
١٤. إن الخارجين عن الجماعة يقومون بشق عصا المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم.
١٥. إن المفارقين للجماعة يتخذون أشكالاً مختلفة فقد يكونون تنظيمات سرية، أو عزلة اجتماعية، أو دولة سلطوية.
١٦. نتيجة الفرقه عذاب الله – تعالى – ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول – عليه الصلاة والسلام.

١٧. تكمن خطورة الخارجين عن الجماعة في كون أصحابها ينتسبون إلى الإسلام.

١٨. أصحاب الفكر المنحرف يوظفون الخطاب الديني لإصدار أحكام شرعية تناسبهم.

١٩. التنقل وعدم الثبات والشك والارتياب والعداوة من صفات الخارجين عن الجماعة.

٢٠. إثبات بعض الأدلة والإقرار بها ثم القيام بنقضها عند الخارجين عن الجماعة.

٢١. إن الخارجين عن الجماعة يحاربون التقليد وينكرون الإجماع ثم يقدسون آراء رجالهم.

٢٢. إن الخارجين عن الجماعة يقومون بتشويه صورة الإسلام بأعمالهم الإرهابية.

٢٣. ترسم الأفلام السينمائية الغربية صورة عدائية للإسلام والمسلمين.

٢٤. اتخاذ أعداء الإسلام مصطلح الإرهاب للطعن في الدين الإسلامي.

٢٥. إن الغلاة الخارجين عن الجماعة قد شوهوا الدين الإسلامي.

٢٦. الإخلال بالجماعة هو الطريق إلى التطرف الفكري والعقدي.

٢٧. الغلو والإخلال بالجماعة خلاف الوسطية التي ميزنا الله – تعالى – بها.

٢٨. لا بد من التميز بين الفكرة والمفكر، أو العالم والمعلومة، والمقولة وقائلها.

٢٩. قد تكون الفكرة أو المعلومة أو المقولة خاطئة في حد ذاتها، ولكن ليس بالضرورة أن يكون القائل بها قاصداً الإساءة.

٣٠. التشدد في الأحكام يؤدي إلى الوقوع في البدع.

٣١. إن الغلاة الخارجين عن الجماعة يتحكمون في الأسماء والأحكام مع أن هذه المسألة حق من حقوق الله – تعالى –.

٣٢. الغالي في الدين يشق على نفسه فيعارض تعاليم الإسلام، ويخرج عن السنة.

٣٣. فُطرت النفس البشرية على محبة اليسر والرفق والسماحة.

٣٤. إن من أخطر الأسباب لانتشار فكر التطرف الانحراف الفكري العقدي.

٣٥. إن شخصية الخارج عن الجماعة شخصية عدوانية سريعة التأثر.

٣٦. أهل السنة والجماعة يتميزون بالوسطية والاعتدال بخلاف الفرق المخالفة.

٣٧. إن صاحب البدعة يصعب عليه التخلص منها في الغالب.

٣٨. إن الخارجين عن الجماعة يتقلبون في البدع، فيخرجون من بدعة إلى بدعة أكبر منها.

٣٩. إن الخارج عن الجماعة يضيع حقوق الله – تعالى – وحقوق الرسول – عليه الصلاة والسلام – .

٤٠. ليس بعد الكفر ذنب أعظم من قتل النفس بغير حق.

٤١. إن الخارج عن الجماعة لا يفرق بين الكفر الأكبر والأصغر.

٤٢. إن الهلاك أثر من آثار الغلو.

التوصيات

١. يجب العمل الجاد على إصلاح التنظيم الإسلامي ليكون أكثر اتساقاً مع مطالب العدالة ورعاية حق الأمة الإسلامية.

٢. العمل على تماسك المنظمات الإسلامية كمنظمة المؤتمر الإسلامي للوقوف في وجه ازدواجية المعايير الغربية، والوقوف ضد فرض الواقع التي تفرضه بعض الدول القوية في التعامل مع بعض الدول في العالم الإسلامي.

٣. العمل عبر جسر النخبة الفكرية والثقافية في العالم وخبراء القانون الدولي، وذلك عن طريق بيان الأخطار التي تهدد استقرار الأمة الإسلامية في حالة الإخلال بالجماعة الإسلامية.

٤. تدريس المواد التي يحتاجها العصر برؤية شرعية مثل مادة فقه الأمن، وفقه الواقع، وفقه الجماعة.

٥. تكاتف العلماء والفقهاء لتوحيد الجهود والفتاوى.

٦. استغلال المنابر العلمية لتوحيد الأهداف والأعمال.

٧. إن على العلماء والخطباء والدعاة والأسر والهيئات الشرعية وولاة الأمر ورجال الأمن والمثقفين والكتاب دوراً لجمع الشمل، وتوحيد الصف، وتأليف القلوب، والنصر على الأعداء.

الهوامش

(١) لسان العرب (٥٣/٨)، والمعجم الوسيط (١٣٥/١)، والقاموس المحيط (٩١٧)

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٦٠-٢٦٦)، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين (٢٦٩ – ٢٧٢)

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٤٨٢)

(٤) الاعتصام (٢/ ٢٦٠ – ٢٦٦)، وتنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين (٢٦٩ – ٢٧٢)

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) فتح الباري (١٣/ ١٠٤ – ١٠٥)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٤١٩)

(٧) شرح السنة (٢٢)

(٨) انظر المصدر السابق

(٩) انظر المصدر السابق

(١٠) الموافقات في أصول الشريعة (٤/ ٣– ٦)

(١١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٧)

(١٢) من السلف الذين قصروا السنة على الاعتقادات ابن مسعود، أبي بن كعب، أبو الدرداء – رضي الله عنهم –، الإمام الشافعي، والإمام أحمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأبو داود السجستاني، وابن أبي عاصم،وابن حاتم الرازي، وأبو القاسم الطبراني. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣)

(١٣) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام (٣ – ٣٥٦)

(١٤) الفرق بين الفرق (١٦ – ٢٢)، وذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة (٢٢ – ٤٦)، وتاريخ الطبري (٥/ ٦٤ – ٦٦).

(١٥) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، والفرق بين الفرق (٢١١ – ٢١٢)، والفصل (٤/ ٢٠٤)، والتبصير في الدين (١٠٧– ١٠٨)، والملل والنحل (١/ ٨٦ – ٨٨)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٩ – ٩٣)

(١٦) المقالات (١/ ٢١٣–٢٢٨)، والملل والنحل (١٣٩/١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٩٣– ٩٥)، وذكر مذاهب الفرق (١٣٢ – ١٤١)

(١٧) المقالات (١/ ٦٥)، والملل والنحل (١/ ١٤٦)، والفرق بين الفرق (٢٩)، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين (٥٩ – ٨٣)، وذكر مذاهب الفرق (٧٢ – ٨٨)

(١٨) الفتاوى (٣/ ٣٧٥)

(١٩) منهاج السنة ط جامعة الإمام (٢/ ٢٢١)

(٢٠) إن كثيراً من الفرق الضالة تسمي نفسها باسم أهل السنة، ومنهم الشيعة، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، بل نجد أن بعض المؤلفين كمصطفى الشكعة يقول: (وهكذا نجد أن لقب أهل السنة أطلق أول ما أطلق على جماعة الأشاعرة ومن نحا نحوهم، ثم اتسعت دائرته فشملت أصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، وابن حنبل، والأوزاعي وأهل الرأي والقياس) وقوله غير صحيح حيث إن هؤلاء الأئمة قد توفوا قبل الأشعري والأشاعرة. انظر تبين كذب المفتري (٤٣)، ومنهاج السنة ط القاهرة (٣/ ٤٦٠ – ٤٦٦)، والفتاوى (٤/ ١٣٧)، والتألف بين الفرق (١١٨ – ١٢٧)

(٢١) تنبيه أولي الأبصار (٢٧٢)

(٢٢) درء التعارض (٣٥٠/٧)، والفتاوى (٣/ ١٥٧)، والاستقامة (١/ ٤٢)

(٢٣) النهاية في غريب الحديث (٢– ٣٩٠)، وحاشية العدوي (١/ ١٠٦)، والشعر الداني (٢٤)

(٢٤) عقيدة أهل السلف أصحاب الحديث تحقيق البدر(٣ – ٤) ، ودرء تعارض العقل (١/ ٢٠٣)

(٢٥) الرد على من أنكر الحرف أو الصوت (١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٣)، ولوامع الأنوار (١/ ١٦٤)

(٢٦) لوامع الأنوار (١/ ٦٤)، وشرف أصحاب الحديث (٢٥)، والعقيدة الواسطية (١٤)

(٢٧) شرف أصحاب الحديث (٢٦)، والفتاوى (٢٨/ ٥٣٢)

(٢٨) الفتاوى (٤/ ٨٥ – ٩٥)

(٢٩) الشريعة للآجري (١١٢)، ووسطية أهل السنة (١٣٠)

(٣٠) الفتاوى (٤/ ٨٧) (١٧– ٣١٧)

(٣١) الاعتصام (٢/٢٠٠ – ٢٣٢)

(٣٢) الفتاوى (١١/ ٥٥٥)

(٣٣) لسان العرب (١٠/ ٣٠٠)، ومختار الصحاح (٥٠١)، والكليات (٦٦٥)، والمفردات (٣٧٧ – ٣٧٨)، والقاموس المحيط (١١٨٤)

(٣٤) البخاري كتاب البيوع – باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا (٤/ ٢٤٧)، ومسلم كتاب البيوع – باب خيار المجلس للمتبايعين (١٠/ ١٧٣)

(٣٥) لسان العرب (١٠/ ٢٩٩ – ٣٠٠)، والكليات (٦٦٥)، والمفردات (٣٧٧ – ٣٧٨)،والقاموس المحيط (١١٨٥)، مختار الصحاح (٥٠١)

(٣٦) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٣ – ٢٢٤)

(٣٧) مسلم كتاب فضائل القرآن – باب الزجر عن الافتراق في القرآن (٨/ ٥٧)

(٣٨) دل ذلك على أن الافتراق عن مذهب أهل السنة والجماعة يحصل ولو بمخالفة أصل واحد من أصولهم فما بالك في حالة التعدد؟

(٣٩) مسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/ ٢٣٨)

(٤٠) الافتراق مفهومه وأسبابه (٦)

(٤١) الاستقامة (١/ ٤٢)

(٤٢) انظر المصدر السابق

(٤٣) الإبانة – تحقيق: رضا بن غسان (١/ ٢٩٣)

(٤٤) لا يراد بمفارقته لدينه الحكم عليه بالكفر، فهذا يختلف بحسب البدعة التي فارق فيها الجماعة، فقد تكون بدعة مكفرة، فتكون مفارقته لدينه مفارقة ردة وكفر، وقد تكون بدعة غير مكفرة فيكون قد فارق الدين الكامل المطلق ما فانقص منه ما انقص.

(٤٥) سبق تخريجه

(٤٦) مسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/ ٢٣٨)

(٤٧) شرح صحيح مسلم _ ١٢/ ٢٣٨)، والفتاوى (٣٥/ ١١)

(٤٨) درء التعارض ط جامعة الإمام (٥ – ٢٩٧)، والفتاوى (١٧/ ٤٤٣ – ٤٤٤)

(٤٩) درء التعارض ط دار الكنوز (١/ ٨٩)

(٥٠) نظريات شيخ الإسلام (٣٢ – ٣٧)، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (٤٤ – ٤٥)، ومجمل أصول أهل السنة والجماعة (٢٩ – ٣١)

(٥١) الصواعق المنزله على الطائفة الجهمية والمعطلة (١/ ٧٧ – ٩٣)، والتأويل وخطورته (٤٩)

(٥٢) جوهرة التوحيد (٩١)

(٥٣) الوضر: الدرن والدنس والجمع أوضار. انظر الصحاح (٢/ ٨٤٦)، وترتيب القاموس (٤– ٥٦٢)

(٥٤) فضل علوم السلف على علم الخلف (٣٢ – ٣٣)

(٥٥) ابن أبي عاصم في السنة بتحقيق الألباني (١/ ٢٦) وقال الألباني: حديث صحيح

(٥٦) البخاري كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة جور (٥/ ١٩٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضل الصحابة – رضي الله عنهم – (١٦/ ٨٤ – ٨٥)

(٥٧) منهاج السنة ط بولاق (١/ ٢٥٦)

(٥٨) الفتاوى (٣/ ١٥٧، ٣٤٦، ٣٤٧) (١٣ – ٣٢) (١٦/ ٤٦٣ – ٤٦٤، ٤٦٩)

(٥٩) ابن بطة في الإبانة (١/ ٢١٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٣)، والقرطبي في الجامع (٥/ ٢٤٩ – ٤١٥)

(٦٠) الشريعة للآجري (٧٣)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٦)، والكواشف الجلية (٤٩٦ – ٥٠٤) –

(٦١) الفتاوى (١/ ٥٥٥)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/ ٥٧٠)

(٦٢) فسر الرسول – عليه الصلاة والسلام – الصراط بكتاب الله وبالإسلام فقال : (فالصراط المستقيم هو الإسلام، وعلى رأس الصراط كتاب الله) رواه أحمد في مسنده (٢٤، ١٨٢، ١٨٣) والترمذي في كتاب الأمثال باب (١) (٥/ ١٤٤) الحديث رقم (٢٨٥٩) وقال: حديث صحيح.

(٦٣) تفسير مجاهد (٢٧٧)

(٦٤) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٨)

(٦٥) أي صار بعمل التفريق والابتداع منهم. انظر المصدر السابق.

(٦٦) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية(١/ ٢٧٢)

(٦٧) تنبيه ذوي العقول (٣٢)

(٦٨) البخاري كتاب الفتنة – باب سترون بعدي أموراً تنكرونها (١٣/ ٤) ومسلم كتاب الإمارة – باب وجوب الملازمة (١٢/ ٢٧٩)

(٦٩) مسلم كتاب الإمارة – باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (١٢/ ٢٤١)

(٧٠) من مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض يكون في عرصة القيامة يخص الرسول محمد – عليه الصلاة والسلام – ماءه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر ، وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعده أبداً انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٠ – ٢٥٢) ، وقطف الثمر (١٢٦)

(٧١) البخاري كتاب الفتنة – باب ماجاء في قوله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا) (٣/١٣)

(٧٢) القذة : جمع قذاة وهو ما يقع في العين والماء ، الشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠/٤)

(٧٣) البخاري كتاب الاعتصام باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لتتبعن سنن اليهود والنصارى (٢١٩/١٦ – ٢٢٠)

(٧٤) البخاري كتاب الاعتصام – باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لتتبعن سنن من كان قبلكم (٢٥٦/١٣)

(٧٥) جاء ذلك في أحاديث صحيحة مستفيضة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخرجها البخاري، ومسلم ، وابن ماجه ، والحاكم ، وأحمد ، والترمذي، وغيرهم كثير .

(٧٦) البخاري كتاب الاعتصام – باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين) (٢٥٠/١٣) ، ومسلم كتاب الإمارة – باب قوله – صلى الله عليه وسلم – (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) (٦٥/١٣-٦٦)

(٧٧) الترمذي كتاب الفتن – باب ما جاء في لزوم الجماعة حديث رقم (٢٤٦٧) ، (٤٦٦/٤) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه وللحديث شواهد في مستدرك الحاكم (١١٥/١ – ١١٦) ، والسنة لابن أبي عاصم الأحاديث رقم (١٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥) وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٢٧٨/١) رقم (١٨١٨) وقال : حديث حسن

(٧٨) البخاري كتاب الفتن – باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٣٠/١٣-٣٩) ، ومسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٢٢٦/١٢-٢٢٧)

(٧٩) شغفة كل شيء أعلاه ، وشغفة الجبل بالتحريك : رأسه ، والجمع شغَّفٌ وشغافٍ ، وشغوف وهي رؤوس الجبال انظر النهاية في غريب الحديث (٢٨١/٢)

(٨٠) البخاري كتاب الإيمان – باب من الإيمان الفرار من الفتن (٥٨/١)

(٨١) دخن بالمهملة ثم المعجمة المفتوحتين بعدها نون هو الحقد ، وقيل فساد القلب فتح الباري (١٣/١٢)

(٨٢) البخاري كتاب الفتن – باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٣١/١٣)

(٨٣) مسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٢٢٦/١٢)

(٨٤) الموافقات (١٢٨/٤ – ١٥٠) ، والمنثور في القواعد (١٢٧/٢ - ١٣٤) والأشباه والنظائر (٩٤-٩٥)

(٨٥) سبق تخريجه

(٨٦) النهاية في غريب الحديث (٢٩٣/٥)

(٨٧) سبق تخريجه

(٨٨) البداية والنهاية (٥٨٨/١٠)

(٨٩) تلبيس إبليس (١٣١)

(٩٠) الشريعة (٢٤)

(٩١) البخاري كتاب الفتن – باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (لا ترجعوا بعدي كفارا) (٩٧٨)

(٩٢) الفتاوى (٧٢/١٩)

(٩٣) هدي الساري (٤٥٩)

(٩٤) فتح الباري (٢٩٦/١٢)

(٩٥) البخاري كتاب استتابة المرتدين – باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٢٨٣/١٢)

(٩٦) مقالات الإسلاميين (١٦٧/١-٢٠٧) والفرق بين الفرق (٧٣-٧٤) والبرهان في عقائد أهل الأديان (١٧) ، والملل والنحل (١١٤/١-١١٥)

(٩٧) مقالات الإسلاميين (٢١٢/١)

(٩٨) حروراء بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة مشتقة من الريح الحرور وهي الحارة، وهي بالليل كالسموم بالنهار، كأنه أنث نظراً إلى أنها بقعة، قيل: قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها أُنزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - . انظر معجم البلدان (٧/ ٢٨٩)

(٩٩) فتح الباري (١٤/ ٢٨٨)

(١٠٠) الملل والنحل (١/ ١٠٩)

(١٠١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٩٧)

(١٠٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٤، ١٧)

(١٠٣) المصدر السابق (٤/ ٥٢)

(١٠٤) المصدر السابق (٣٥/ ٤١٤)

(١٠٥) العلاقة بين العمليات الإرهابية (٨٨)

(١٠٦) عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١٠)

(١٠٧) ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٨٣)

(١٠٨) تفسير البغوي (٢٥٦/١– ٢٥٧)

(١٠٩) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠ – ٣٣)

(١١٠) مسلم كتاب الزكاة – باب التحريض على قتل الخوارج ح رقم (٢٠١١)

(١١١) البخاري كتاب الفتن – باب قول النبي – عليه الصلاة والسلام - : (لا ترجعوا بعدي كفاراً......) (٨/ ٩١)، ومسلم كتاب الزكاة – باب ذكر الخوارج رقم (٢٥٠٥)

(١١٢) البخاري كتاب الأدب – باب ما نهى عن السباب واللعن (٧/ ٨٤)، ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي – عليه الصلاة والسلام – (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ٢ (١/ ٨١) رقم ٦٤

(١١٣) فتح الباري (١/ ٨٤)

(١١٤) البخاري كتاب الإيمان – باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا....) (١/ ١٣) ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب تواجه المسلمان بسيفهما (٣/ ٢٢١٣) رقم (٢٨٨٨)

(١١٥) فتح الباري (١/ ٨٥).

(١١٦) البخاري كتاب المظالم – باب قوله (وهو ألد الخصام) (٥/ ٨٠)، ومسلم كتاب القضاء والشهادات – باب في ألد الخصام (١٢/ ١٠)

(١١٧) أحمد في مسنده (١/ ٢١٥ – ٣٤٧) وابن خزيمة (٤/ ٢٨٦٧ – ٢٨٦٨)، والنسائي في كتاب الحج – باب التقاط الحصى (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه كتاب المناسك – باب باب قدر حصي الرمى (٣٠٠٢٩) والحاكم (١٠/ ٤٤٦) وصححه على شرط الشيخين .

(١١٨) العلاقة بين العمليات الإرهابية والغلو والتطرف (١١٦ – ١١٨)

(١١٩) بناء على قاعدتهم الكلية من تقديم العقل على النقل عند التعارض.

(١٢٠) درء تعارض العقل والنقل ط دار الكنوز (١/ ١٨١ – ١٨٢)

(١٢١) من الصحابة الذين كفرهم الخوارج عثمان وعلي وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وغيرهم.

(١٢٢) عقيدة أهل الأثر (٩١)

(١٢٣) الكامل في التاريخ. (٣/ ١٦٦)

(١٢٤) النهروان بكسر النون وفتحها بلدة ما بين بغداد وواسط. انظر معجم البلدان (٥/ ٣٢٤ – ٣٢٥)

(١٢٥) كما فعلوا مع عبد الله بن خباب بن الأرت عندما قتلوه على الشاطئ

(١٢٦) سبق تخريجه.

(١٢٧) هذا مجمع عندهم ماعدا فرقة النجدات فلا تقول بتكفير مرتكب الكبيرة. انظر المقالات (١/ ١٦٧ – ١٦٨)، والفرق بين الفرق (٤٩ – ٥٠)، والبرهان (١١٩ – ١٢٤)

(١٢٨) الملل والنحل (١/ ١٦٤ – ١٦٥)

(١٢٩) البخاري كتاب الأدب – باب من أكفر أخاه بغير تأويل (١٠/ ٤٢٣)، ومسلم كتاب الإيمان – باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم كافر (٢/ ٤٩)

(١٣٠) البخاري كتاب الفتن – باب من حمل علينا السلام فليس منا (١٢/ ١٢)

(١٣١) البخاري كتاب الأشربة – باب قول الله – تعالى –: (إنما الخمر والميسر والأنصاب...) (١٠/ ٢٤)، ومسلم كتاب الإيمان – باب نقصان الإيمان بالمعاصي (٢/ ٤١ – ٤٢)

(١٣٢) حد السرقة عندهم يكون بالقطع من المنكب في القليل والكثير دون اعتبار شرط الحرز في السرقة، ولا يلتفتون لما ثبت في السنة من أن يكون القطع من الرسغ، وأن يكون المال المسروق يساوي ربع دينار فأكثر، وأن يأخذه السارق من الحرز المعد لحفظه، وأما عقوبة الزنا عندهم للمحصن والبكر مائة جلدة، وهذا إنكار صريح للسنة الثابتة. انظر الملل والنحل (٤/ ١١٤)، والفصل (٤/ ١٨٩)، والفرق بين الفرق (٤٩ – ٧٨)

(١٣٣) رسالة الفرقان (١/ ١٥٦)

(١٣٤) الآجري في الشريعة (٥٦ – ٥٧)

(١٣٥) الخلافة لشكري مصطفى (٣/ ٣٠)

(١٣٦) المصدر السابق (٣/ ٣٧)

(١٣٧) انظر كتاب سياسة الإسلام بالتعامل مع الفتن المعاصرة

(١٣٨) مفهوم الإسلام بين الإسلام والغرب (٢٤)

(١٣٩) الإسلام في عيون غربية (٧٣٠)

(١٤٠) الإرهاب والعنف والتطرف (٤ – ٦)، والإرهاب ومرادفاته (٨)

(١٤١) أسباب ظاهرة الإرهاب للعمرو (١١ – ١٣)

(١٤٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣ – ٢٠٤)

(١٤٣) البخاري كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح (٧، ٢)، ومسلم النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٢/ ١٠٣)

(١٤٤) نيل الأوطار (٦/ ١٠٣)

(١٤٥) الإرهاب الفكري – (٧٣ – ٧٤)

(١٤٦) تعارض العقل والنقل ط جامعة الإمام (١/ ١٠٢)

(١٤٧) دعوة إلى السنة منهجاً وسلوكاً (١٤٥)

(١٤٨) البخاري كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه (١٦/ ٢٢٣)

(١٤٩) القرطبي في جامع بيان العلم (١/ ٦١٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٤)

(١٥٠) المصادر السابقة، والهروي في ذم الكلام (٥/ ٧٧)

(١٥١) البخاري كتاب العلم – باب من سئل علماً وهو مستقل (١/ ١٤١)

(١٥٢) الاعتصام ط دار المعرفة – بيروت (٤٤٥)

(١٥٣) البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب قتل الخوارج والملحدين (١٢/ ٢٤١)

(١٥٤) الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير (٢٠)

(١٥٥) العلاقة بين العمليات الإرهابية (١٢٧)

(١٥٦) الوسطية في الإسلام (٤٨)

(١٥٧) البخاري كتاب الآداب – باب من شكا إمامه إذا طول (٢/ ١٥٩)

(١٥٨) البخاري –كتاب التهجد – باب ما يكره من التشديد في العبادة (٣/ ٢٧٨)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين – باب أمر من نعس في صلاته رقم (٧٨٥)

(١٥٩) سبق تخريجه

(١٦٠) أحمد في المسند (١٩٨/٣) حديث رقم (١٣٠٧٤)

(١٦١) علم الإرهاب الأسس الفكرية (٥٣)

(١٦٢) الصحوة الإسلامية (٣٠-٣١)

(١٦٣) سبق تخريجه

(١٦٤) البخاري كتاب الإيمان – باب الدين يسر (٩٣/١)

(١٦٥) فتح الباري (٩٤/١)

(١٦٦) مسلم كتاب الزكاة – باب الحث على الصدقة و أنواعها (١٠٤/٧)

(١٦٧) مسلم كتاب الإمارة – باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (٢٣٨/١٢)

(١٦٨) البخاري كتاب الخصومات – باب ما يذكر في الأشخاص و الخصومة (٥/ ٥٣-٥٤)

(١٦٩) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية (٣٥٥)

(١٧٠) دور المسجد في تحقيق أمن المجتمع (٥٠)

(١٧١) حقيقة موقف الإسلام من التطرف (٣٩)

(١٧٢) مسلم كتاب الإيمان – باب (بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً..) (١٤٥/١)

(١٧٣) في النفس و القرآن الكريم (٢٢)

(١٧٤) سبق تخريجه

(١٧٥) دراسات في النفس الإنسانية (٤٣)

(١٧٦) الإرهاب للسلطان (٥٨)

(١٧٧) سبق تخريجه

(١٧٨) سبق تخريجه

(١٧٩) سبق تخريجه

(١٨٠) أساس التقديس (١٨٢)

(١٨١) الذوق: يقصد به عند الصوفية بأنه نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه، في قلوب أوليائه حتى يفرقوا بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ولا غيره، أو يقولون : هو أخذ العلم مباشرة من الله – سبحانه وتعالى – ولذا كان يقول البسطامي : (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذناه عن الحي الذي لا يموت) ويزعمون أنهم يحصلون عليه بالمجاهدة والمكابدة والرياضة انظر الفتوحات المكية (١٣٩ – ١٤٠) فقرة (٦٥)، والتعرف لمذهب أهل التصوف (١٣٢)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٢٥٨٢)

(١٨٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٠ – ٢٣٢)

(١٨٣) الفتاوى (١٣/ ٥٨ ، ٥٩)

(١٨٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٤٥٥ – ٤٥٧)

(١٨٥) إعلام الموقعين (١/ ٧٨)

(١٨٦) سبق تخريجه

(١٨٧) سبق تخريجه

(١٨٨) السيوطي في الجامع الصغير رقم (١٦٦٣) وقال حديث صحيح والألباني في صحيح الجامع (١٦٩٥) (٢/ ٨٨) في السلسة الصحيحة (١٦٢٠) وصححه.

(١٨٩) الطرطوشي في البدع والنهي عنها (٥٤)

(١٩٠) العكبري في الشرح والإبانة (١٢٢)

(١٩١) الفتاوى (١١/ ٦٨٤-٦٨٥)

(١٩٢) الاعتصام (١/ ١٠٦ – ١٠٧)

(١٩٣) الترمذي كتاب الفتن – باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤/ ٤٦٥ – ٤٦٦) رقم (٢١٦٥)، وأحمد في مسنده (١/ ١٨)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ١١٤)، وابن أبي عاصم حديث رقم (٨٨) وصححه الألباني

(١٩٤) سبق تخريجه

(١٩٥) تيسير الكريم الرحمن (٧٩٦)

(١٩٦) مسلم كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطبة (١/ ٥٩٢)

(١٩٧) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠٥)

(١٩٨) مدارج السالكين (٢، ٤٩٦)

(١٩٩) ابن ماجه في سننه، (١٧٤) وقال البصيري: إسناده صحيح. احتج البخاري بجميع روايته وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه ح (١٤٤)، والسلسلة الصحيحة ح (٢٤٥٥)

(٢٠٠) انظر دراسة عن الفرق (٧٩ – ٨٥)، والخوارج للعقل (١٣٢ – ١٣٦) والحكم وقضية تكفير المسلم (٧٧ – ٧٨)، وشبهات التكفيريين (٧١ – ٧٨)، والحكم بغير ما أنزل الله (١٢ – ١٣)

(٢٠١) شبهات التكفيريين (٧١)

(٢٠٢) بدعة التوقف والحكم بغير ما أنزل الله (٣٨)

(٢٠٣) شبهات التكفيريين (١٥٣)، والحكم بغير ما أنزل الله (١٨٤)

(٢٠٤) الحكم بغير ما أنزل الله (١٦٧)

(٢٠٥) بدعة التوقف (١٨٦)، دراسة عن الفرق (٨٠ – ٨١)

(٢٠٦) الحكم وقضية تكفير المسلم (١١٦)

(٢٠٧) نيل الأوطار (٧/ ٣٤٠)

(٢٠٨) انظر الخوارج للعقل (١٢٣)، والموسوعة الميسرة (١/ ٣٣٥ – ٣٣٦)

(٢٠٩) المراد بالأسماء : أسماء الدين مثل مؤمن، مسلم، كافر، فاسق، والأحكام : أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، أي أحكام أصحاب هذه الأسماء . انظر الفتاوى (١٣/ ٣٨)، وشرح العقيدة الواسطية (١٢٦)

(٢١٠) فرقة الأباضية لا تنكر عذاب القبر – تناقض أهل الأهواء (١/ ٢٤٤)

(٢١١) فرقة الأباضية تثبت الشفاعة للمتقين فقط، وهنا يظهر التناقض حيث إن المتقي لا يحتاج إلى الشفاعة، بل أن الله أعد له جنة عرضها السموات والأرض. انظر تناقض أهل الأهواء (١/ ٢٤٤)

(٢١٢) المقالات (١/ ١٦٧ – ٢١١)، والتنبيه والرد (٦٢ – ٦٨)، والفرق بين الفرق (٤٩ – ٧٥)، والتبصير في الدين (٤٥ – ٦٣) واعتقاد فرق المسلمين (٤٩ – ٥٩)، والبرهان (١٧ – ٣٠)، وعقائد الثلاث والسبعين (١/ ٢١ – ٤٢)، وذكر مذاهب الفرق (٢٥ – ٢٦)، وإسلام بلا مذاهب (١٤٧ – ١٦٥)

(٢١٣) إن فرقة المطبخية من الخوارج تقول بهذا القول. انظر الفصل (١/ ١٨٩) وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٣٣)، ومذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة (٣٣ – ٤٣)

(٢١٤) فرقة الميمونية من الخوارج قالت بهذا القول، وتقول أيضاً : إن سورة يوسف ليست من القرآن الكريم، انظر الملل والنحل (١/ ١٢٩)، والفرق بين الفرق (٢١١ – ٢١٢)، والبرهان (٢٧ – ٢٨)، والشغف: اسم من أسماء المحبة والشغاف هو غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب، وهو الحب المستولي على القلب، يقال شغفه الحب : أي أحرق قلبه مع لذة يجدها. انظر المفردات (٢٦٢)، ولسان العرب (٧/ ٤٦ – ١٤٧) ط دار إحياء التراث، والكليات (٣٩٨)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٠)

(٢١٥) مسلم كتاب الزكاة – باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٧/ ١٦٢)

(٢١٦) إن فرقة اليزيدية من الخوارج تقول بهذا القول، وهي أصحاب يزيد بن أنيسة الخارجي، وليس هو المحدث إنما اتفق الاسمان. انظر الفرق بين الفرق (٢١١)، والبرهان (٢٩)، وعقائد الثلاث والسبعين (١١/ ٣٨)، وذكر مذاهب الفرق (٤٦ – ٤٧)

(٢١٧) المد: بضم الميم في الأصل: ربع الصاع وإنما قُدر به لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة، وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز، ورطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق، والنصيف: هو النصف كالعشيرة في العشر. انظر النهاية (٤/ ٣٠٨ – ٥/ ٦٥) –

(٢١٨) البخاري كتاب فضائل الصحابة – باب قول الرسول – عليه الصلاة والسلام – (لو كنت متخذاً خليلاً) (٧/ ٢٦)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب تحريم سب الصحابة (١٦/ ٩٢ – ٩٣)

(٢١٩) النجدات قالت: لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم. انظر المقالات (١/ ١٧٤)، والتنبيه والرد (٦٧)، والفرق بين الفرق (٥٨ – ٦١)، والتبصير في الدين (٥٢)، واعتقادات فرق المسلمين (٥٠ – ٥١)

(٢٢٠) مسلم كتاب الإمارة – باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (٢/ ١٩٩)

(٢٢١) يسمون أنفسهم بعدد من الأسماء: جماعة الهجرة، الخيمة، الشراة، جماعة المسلمين. انظر ظاهرة الغلو (٥٤)، وظاهرة التكفير (٨ – ١٠)

(٢٢٢) التفسير الكبير (٢١/ ١٢)

(٢٢٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٧٦)

(٢٢٤) البخاري كتاب الديات – باب قول الله –تعالى-: (ومن أحياها) (١٢/ ١٦١ -١٦٣)، ومسلم كتاب الإيمان – باب أكبر الكبائر (٢/ ٨٢ -٨٣)

(٢٢٥) البخاري كتاب الديات – باب قول الله – تعالى -: (ومن أحياها) (١٢/ ١٥٨)

(٢٢٦) البخاري كتاب الديات – باب قول الله – تعالى -:(ومن أحياها) (١٢/ ١٥٨ – ١٥٩)

(٢٢٧) البخاري كتاب الجنائز – باب ما جاء في قاتل النفس (٣/ ٢٠١)

(٢٢٨) المصدر السابق

(٢٢٩) بلغ الغلو فيهم حتى جعلوا الأطفال في حكم الآباء المخالفين فاستباحوا قتلهم، وقد قال بهذا القول أيضاً، الآزارقة، والحمزية، والخلفية من الخوارج. انظر التنبيه والرد (٦٨)، والفرق بين الفرق (٦٥ – ٦٦)، والتبصير في الدين (٥٥ – ٥٦)

(٢٣٠) مسلم كتاب الزكاة – باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٧/ ١٦٥)

(٢٣١) الفتاوى (١٩/ ٧٣)

(٢٣٢) المقالات (١/ ١٦٨)، والملل والنحل (١/ ١٦١ – ١٦٢)، والفرق بين الفرق (٥٦ – ٥٨)

(٢٣٣) البخاري كتاب الإيمان – باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا.....) (١/ ٧٢)، ومسلم كتاب الفتن – باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما (١٨/ ١١)

(٢٣٤) فتح الباري (١/ ٧٢)

(٢٣٥) النهبة من النهب وهي الغارة والسلب أي لا يختلس شيئاً له قيمة غالية . انظر النهاية (٤/ ١٩٦)

(٢٣٦) ذات شرف: أي ذات قدرة وقيمة ورفعة يرفع الناس أبصارهم للنظر إليها. النهاية (٢/ ٢١٤)

(٢٣٧) البخاري كتاب الأشربة – باب قوله – تعالى – (إنما الخمر والميسر والأنصاب.....) (١٠/ ٣٠)، ومسلم كتاب الإيمان – باب نقصان الإيمان بالمعاصي (١/ ٧٦)

(٢٣٨) البخاري كتاب الأشربة – باب قوله – تعالى – (إنما الخمر الميسر والأنصاب....) (١٠/ ٢٤) ومسلم كتاب الإيمان – باب نقصان الإيمان (٢/ ٤١ – ٤٢)

(٢٣٩) إن الوعيد يكون في الشر والوعد يكون في الخير والمراد بالوعيد النصوص المتضمنة إيصال الحساب والعذاب لأهل المعاصي والذنوب. انظر مجمل اللغة (٤/ ٩٣١)، وشرح الأصول الخمسة (١٣٤) – (٢٤٥) أثر تطبيق الشريعة الإسلامية (٢٥ – ٢٦)

(٢٤٠) أثر تطبيق الشريعة الإسلامية(٢٥ – ٢٦)

(٢٤١) التحرير والتنوير (٧/ ١٤٠)

(٢٤٢) أبو داود كتاب الملاحم – باب الأمر والنهي (٤/ ٥١٥) رقم (٤٣٤٧) وأحمد (٤/ ٢٦٠) و (٥/ ٢٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٠٧)

(٢٤٣) انظر ما سبق في المطلب الرابع (النصوص والواردة في ذم الإخلال بالجماعة)

(٢٤٤) أحمد في مسنده (١/ ٢١٥ – ٢٤٧)، وابن خزيمه (٤/ ٢٨٦٧ – ٢٨٦٨)، والنسائي كتاب الجمع – باب التقاط الحصى (٥/ ٢٦٨) و ابن ماجه كتاب المناسك – باب قدر حصى الرمي حديث (٣٠٢٩)، والحاكم (١/ ٤٦٦) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه النووي في المجموع

(٢٤٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩)، وتيسير العزيز الحميد (٢٧٥) –

(٢٤٦) سبق تخريجه

(٢٤٧) شرح مسلم (١٦/ ٢٢٠).

المصادر والمراجع

١. الأباضية بين الفرق الإسلامية – علي يحي معمر – مطبعة وزارة التراث القومي – عمان – ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢. الابانة الكبرى لابن بطة العكبري – تحقيق الدكتور: فوقيه حسن – القاهرة.

٣. أثر تطبيق الشريعة الإسلامية – صالح بن ناصر بن صالح الخزيم – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤٢٢هـ.

٤. إحياء علوم الدين – أبوحامد الغزالي – دار الشعب – القاهرة.

٥. آداب البحث والمناظرة – الشيخ: محمد بين الأمين الشنقيطي – دار ابن تيمية – القاهرة.

٦. الإرهاب – أسبابه – آثاره - الوقاية منه – يحي بن موسى الزهراني – المملكة العربية السعودية.

٧. الإرهاب – مظاهره وأشكاله وفقاً للإتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب – الأستاذ الدكتور: محمد الحسيني مصلحي– موقع الإسلام.

٨. الإرهاب - الدكتور: عبدالمحسن السلطان – الرياض – المملكة العربية السعودية.

٩. الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته – جلال الدين محمد صالح – مركز الدراسات والبحوث – جامعة نايف العربية – الرياض – ١٤٢٩ هـ.

١٠. الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم – زيد بن محمد بن هادي المدخلي – دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع – الدمام – المملكة العربية السعودية – ط١.

١١. الإرهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن والسنة –الأستاذ الدكتور: عبدالله بن الكيلاني الأوصيف – موقع الإسلام.

١٢. الإرهاب ومرادفاته من البغي والإفساد في ضوء آيات الكتاب – الدكتور: عبدالرحمن بن جمل بن عبدالرحمن القصاص – موقع الإسلام.

١٣. أساس التقديس – فخر الدين الرازي – تحقيق الدكتور: أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

١٤. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف – أسماء بنت عبدالعزيز الحسين – موقع الإسلام.

١٥. الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير – د: عفاف بنت حسن بن مختار الهشمي – المؤتمر الدولي عن ظاهرة التكفير – ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٦. الاستقامة لابن تيمية – تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم – مكتبة ابن تيمية.

١٧. الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهال وإنصاف العلماء – محمد عمارة – دار الشروق – القاهرة – جمهورية مصر العربية – ط٢ – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٨. الأشباه والنظائر للسيوطي – دار الفكر – بيروت.

١٩. أصول الدين – فخر الدين الرازي – تحقيق الدكتور: أحمد حجازي السقا – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

٢٠. الاعتدال بين التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً – محمد الزحيلي – اليمامة للطباعة – دمشق – ط٣.

٢١. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي – تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي.

٢٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم – تحقيق: مجدي فتحي السيد – دار الحديث – القاهرة.

٢٣. الافتراق – مفهومه – أسبابه – الدكتور : ناصر عبد الكريم العقل – دار الوطن – دار المسلم – الرياض – ط١.

٢٤. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم – تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية – تحقيق الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل – ط١ – ١٤٠٤هـ.

٢٥. البداية والنهاية – الحافظ ابو الفداء عماد الدين ابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت.

٢٦. البرهان في معرفة عقائد أهل الأوثان – أبو الفضل عباس بن منصور الشربيني السكسكي – تحقيق: د: بسام علي سلامة العموش – ط١ – مكتبة المنار – ط١ – ١٤٠٨ هـ.

٢٧. التألف بين الفرق الإسلامية – محمد حمزة – دار قتيبة – دمشق – ط١.

٢٨. التأويل خطورته وآثاره – الدكتور: عمر الأشقر - دار النفائس - عمان – الأردن – ط١ – ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٩. التبصير في الدين – أبو المظفر الإسفرانيني – تحقيق: كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – بيروت.

٣٠. التعرف لمذهب أهل التصوف – أبوبكر محمد الكلاباذي – تقديم وتحقيق: محمود أمين النواوي – المكتبة الأزهرية – ط٣ – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣١. التعريفات – علي بن محمد الشريف الجرجاني – مكتبة لبنان – بيروت.

٣٢. تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر ابن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤م.

٣٣. تفسير القرآن العظيم – الحافظ ابن كثير – تحقيق: عبدالعزيز غنيم وآخرين – دار الشعب – مصر.

٣٤. التفسير الكبير (الشهير بمفاتيح الغيب) للفخر الرازي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٥. تفسير مجاهد – مجاهد بن جبير المكي – تحقيق: عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي – ط – ١٣٦٩ هـ.

٣٦. تناقض أهل الأهواء والبدع – د. عفاف حسن محمد مختار – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٦هـ.

٣٧. تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من أخطار – الدكتور: صالح بن سعد السحيمي – مطبعة سفير– الرياض – ط١ – ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٣٨. تنبيه ذوي العقول السليمة – عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري – مكتبة الغرباء – المدينة المنورة – ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

٣٩. التنبيه والرد – أبو الحسين الملطي – تحقيق: يمان بن سعدالدين الميادين – رمادي للنشر – المؤتمن للتوزيع – ط١– ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٠. التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبد الرؤوف المناوي – تحقيق: محمد رضوان الداية – دار الفكر المعاصر – بيروت.

٤١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق: محمد وأحمد شاكر – دار المعارف – مصر.

٤٢. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي – دار المعرفة - بيروت.

٤٣. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله – أبوعمر يوسف بن عبدالبر – دار الفكر – بيروت.

٤٤. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٥. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف – الدكتور: علي بن عبد العزيز بن علي بن السنبل – موقع الإسلام.

٤٦. جوهرة التوحيد – إبراهيم اللقاني – بيروت – ط١ – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٧. حقوق الإنسان وحرياته الأساسية – د: عبدالوهاب الشيشاني – ١٤٠٠هـ.

٤٨. الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو – محمد سرور بن نايف زين العابدين – دار الأرقم – ط١.

٤٩. الحكم وقضية تكفير المسلم – سالم البهنساوي – دار البحوث العلمية للنشر – الكويت.

٥٠. الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام – د: ناصر عبدالكريم العقل – دار الوطن – الرياض – ط١ -.

٥١. دراسات في النفس الإنسانية – محمد قطب – دار الشروق – القاهرة.

٥٢. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) – د: أحمد محمد جلي – نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – ط١ – ١٤٠٦هـ.

٥٣. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – دار الكنوز الأدبية – ١٣٩٩هـ.

٥٤. دعوة إلى السنة منهجاً وسلوكاً – عبدالله ضيف الله الرحيلي – دار القلم – دمشق – ط١ – ١٩٩٥ م.

٥٥. دور المسجد في تحقيق أمن المجتمع - أد: عبدالكريم العمري – دار المنائر – ١٤٢٥هـ.

٥٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة – الشيخ العلامة: ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط٢.

٥٧. السنة لابن أبي عصام – تحقيق: الإمام الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط١ – ١٤٠٠ هـ.

٥٨. سنن ابن ماجة – الإمام الحافظ أبوعبدالله القزويني – تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي – ط دار إحياء الكتب العربية.

٥٩. سياسة الإسلام بالتعامل مع الفتن المعاصرة – رسالة ماجستير – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – مصطفى أحمد سلطان – الرياض – ٢٠٠٦ م.

٦٠. شبهات التكفيريين – د: عمر بن عبدالعزيز قرشي – مكتبة التربية الإسلامية لإحياء التراث – ط١ – ١٤١١هـ.

٦١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي – تحقيق الدكتور: أحمد سعد حمدان – دار طيبة – الرياض.

٦٢. شرح الأصول الخمسة – القاضي: عبدالجبار – تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – تحقيق الدكتور: عبدالكريم عثمان – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١.

٦٣. الشريعة – أبوبكر بن محمد الحسين الأجري – تحقيق: محمد حامد الفقيي – مطبعة السنة المحمدية – ط١ – ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

٦٤. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف – د: يوسف القرضاوي – دار الشروق – ط١.

٦٥. الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن القيم – تحقيق الدكتور: أحمد بن عطية الزهراني والدكتور: علي بن ناصر الفقيهي – المملكة العربية السعودية.

٦٦. ظاهرة التكفير – عبدالفتاح شاهين – دار الإسراء – ط١ – ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٦٧. ظاهرة الغلو في التكفير – الدكتور: يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – ط٣ – ١٤١١هـ.

٦٨. عقائد الثلاث والسبعين فرقه – أبو محمد اليمني – تحقيق: محمد عبدالله الغامدي – مكتبة العلوم والحكم – المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤١٤هـ.

٦٩. عقيدة السلف أصحاب الحديث – أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني – تحقيق الدكتور: بدر بن عبدالله البدر – مكتبة الغرباء الأثرية – المملكة العربية السعودية –ط٢ – ١٣١٥هـ -١٩٩٤م.

٧٠. علم الإرهاب الأسس الفكرية والاجتماعية والتربوية لدراسة الإرهاب – دار الحامد – عمان – ط١ – ٢٠٠٦م.

٧١. الفرق بين الفرق – عبدالناصر بن طاهر بن محمد البغدادي – تحقيق: محمد محي الدين – دار المعرفة – بيروت.

٧٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن حزم – دار المعرفة – بيروت.

٧٣. فضل السلف على علم الخلف – عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي – إدارة الطباعة المنيرية – ط٣ – ١٤٠٤هـ.

٧٤. في النفس والقرآن الكريم – عزت عبدالعظيم الطويل – القاهرة.

٧٥. القاموس المحيط – مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي – تحقيق: مكتبة التراث – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٧٦. القطاع الخيري ودعاوي الإرهاب: محمد بن عبدالله السلومي – مجلة البيان – الرياض – المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧٧. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر – محمد بن صديق خان القنوجي – تحقيق الدكتور: عاصم بن عبدالله القريوني – القاهرة – ط١ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٨. الكامل في التاريخ لابن الأثير – دار الكتاب العربي – بيروت.

٧٩. الكليات – أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي – قابله وأعده : الدكتور : عدنان درويش، محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – سوريا – ط٢ - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٨٠. الكواشف الجلية عن معاني الوسطية – عبدالعزيز المحمد السلطان – ط١١ – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٨١. لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور – تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي – دار إحياء التراث – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٨٢. مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة – الدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل – دار الوطن – الرياض – ط١ – ١٤١٣ هـ.

٨٣. مجمل اللغة – أحمد بن فارس – تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ ١٤٠٤هـ.

٨٤. مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي – مكتبة ابن تيمية.

٨٥. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية – تحقيق: محمد حامد الفقي – دار الكتاب العربي – بيروت.

٨٦. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة – الدكتور: إبراهيم محمد البريكان – دار السنة – ط٢ – ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٧. معاني القرآن وإعرابه – أبو اسحاق إبراهيم بن السري – تحقيق الدكتور: عبد الجليل عبده شلبي – عالم الكتب – بيروت – ط١ – ١٤٠٨ هـ.

٨٨. معجم البلدان – ياقوت الحموي – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٩. معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق وضبط: عبد السلام – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٩٠. الموافقات في أصول الشريعة – أبو اسحاق الشاطبي – شرح: عبدالله دراز – المكتبة التجارية الكبرى.

٩١. مفهوم الإرهاب بين الإسلام والغرب – محمد يوسف الشويكي – القاهرة.

٩٢. مقالات الإسلاميين – أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق: محمد محي الدين – المكتبة العصرية – بيروت – ط١.

٩٣. الملل والنحل – أبو الفتح بن محمد بن عبد الكريم الشهرستاني – دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٤. المنثور في القواعد للزركشي – تحقيق: تيسير أحمد محمود – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – ط٢ – ١٤٠٥ هـ.

٩٥. نظريات شيخ الاسلام والاجتماع – الكتاب الأول – النظريات – المسشرق الفرنسي لأوست – ترجمة: محمد عبدالعظيم – تقديم الدكتور: مصطفى حلمي – دار الأنصار – ط١ – ١٣٩٦ هـ.

٩٦. النهاية في غريب الحديث والأثر – الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٩٧. نيل الأوطار – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية – الرياض – ١٤٠٢ هـ - ١٩٢٨ م.

٩٨. الوسطية في الإسلام – محمد بن عبداللطيف الفرفور – دار النفائس – بيروت - ط١ – ١٩٩٣م.

الفهرس

المقدمة ١
أسباب اختيار الموضوع ٢
أهداف البحث ٢
منهج البحث ٣
خطوات البحث ٣
المبحث الأول: تعريف الجماعة وخصائصها ٤
المطلب الأول: تعريف الجماعة في اللغة والاصطلاح ٤
المطلب الثاني: الضابط في الإخلال بالجماعة: ٧
المطلب الثالث: أهم خصائص أهل السنة والجماعة ٩
المطلب الرابع: النصوص الواردة في ذم الافتراق ١١
المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الإخلال بالجماعة ١٤
المطلب الأول: الضلالة عن الهدى ١٤
المطلب الثاني: التفرق والتشرذم ١٦
المطلب الثالث: الاستدراك على الدين الإسلامي ١٨
المطلب الرابع: التناقض ٢٠
المطلب الخامس: تشويه صورة العقيدة الإسلامية ٢٢
المطلب السادس: غياب الوسطية ٢٤
المطلب السابع : الوقوع في البدع ٢٦
المطلب الثامن : الانقطاع عن العمل ٢٨
المطلب التاسع: الضيق والخلل النفسي ٣٠
المطلب العاشر: البعد عن الله – عزوجل – ٣٣
المطلب الحادي عشر: عدم التيسير من الله تعالى ٣٤
المطلب الثاني عشر: تضييع الحقوق ٣٦
المطلب الثالث عشر: قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان ٣٩
المطلب الرابع عشر: الهلاك ٤٢
الخاتمة والتوصيات ٤٤
الهوامش ٤٧
المصادر والمراجع ٥٦
الفهرس ٦٣